

سؤال وجواب

# في أهم المسائل

تأليف  
الشيخ العلامة

عبد الرحمن بن ناصر السعدي

رحمه الله

وعليها حاشية من شرح الشيخ

عبد الرزاق بن عبد الرحمن البرد

حفظه الله

تحقيق

خالد بن عبد الله بن علي الكندري

تمّ تنسيقُ هذه المادة ومُراجعتها في





## مُقَدِّمَةٌ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا

رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ءَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ

وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ءَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>.

أما بعد<sup>(٤)</sup>؛

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء، الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: (٧٠-٧١).

(٤) هذه الخطبة هي خطبة الحاجة؛ التي كان رسول الله ﷺ يُعَلِّمُهَا أَصْحَابَهُ ﷺ، وقد أخرج بعضها الإمام مسلم في «صحيحه» [كتاب: الجمعة، برقم: (٨٦٨)]، من حديث ابن عباس رضيتا.

فإن تعلم العقيدة الصحيحة، ومعرفة أصول الدين من أهم المهّمات على كل مسلم ومسلمة، بل هو الأساس في قبول الأعمال وصحتها، فبتحقيق التوحيد ينجو المسلم من حبوط العمل، ومن الخلود في النيران كما قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾<sup>(١)</sup>، ويفوز بالجنة ورضا الرحمن، كما قال النبي ﷺ: « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل »<sup>(٢)</sup>.

وأخرجهما على وجه التمام: أبو داود في « السنن » [كتاب: الصلاة، باب: الرجل يخطب على قوس، رقم: (١٠٩٧)]، والترمذي في « الجامع » [أبواب: النكاح، باب: ما جاء في خطبة النكاح، رقم: (١١٠٥)]، والنسائي في « السنن الكبرى » [كتاب: النكاح، باب: ما يستحب من الكلام عند النكاح، رقم: (٣٢٧٧)]، وابن ماجه في « السنن » [كتاب: النكاح، باب: خطبة النكاح، رقم: (١٨٩٢)] كلهم من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه.

وصنّف الألباني رحمته الله رسالة لطيفة بعنوان: « خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه » جمع فيها طرق الحديث والألفاظ الواردة فيه.

(١) سورة النساء، الآية: (٤٨).

(٢) أخرجه البخاري في « صحيحه » [كتاب أحاديث الأنبياء، رقم: (٣٤٣٥)]، ومسلم في « صحيحه » [كتاب الإيمان، رقم: (٢٨)].

وبينَ أيدينا رسالةٌ عظيمةُ النفعِ في بيانِ أمورِ الاعتقادِ الكُلِّيَّةِ التي يحتاجها كُلُّ مسلمٍ ومسلمةٍ، لمؤلفها الشيخ الإمام العلامة: عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمته الله، قد جعلها مؤلِّفها على طريقةِ السُّؤالِ والجوابِ، حتى تكونَ: (أقرب إلى الفهم والتفهم، وأوضح في التعلُّم والتعليم).

وقد اجتهدتُ في ضبط نصِّ الرسالة، وتشكيلها وترقيمها، وذلك بمقابلتها على خمس نسخ؛ ثنتان منها خطية بخط المؤلف رحمته الله، والبقية مطبوعة<sup>(١)</sup>، وبيانها كالآتي:

\* نسخة بخطَّ المصنّف رحمته الله، لكنها ناقصة من آخرها قدرَ الرُّبع، فنتهي عند موانع الإيمان؛ التي ختم بها المصنّف رسالته، وعدد الأسطر في كلِّ ورقة يقارب (٢٣) سطرًا، وقد رمزت لها بالحرف: (أ).

\* نسخة بخطَّ المصنّف رحمته الله أيضاً، وهي ناقصة في آخرها أيضاً حيث تنتهي بالسؤال الحادي والعشرين، وعدد الأسطر في الورقة (٢٠) سطرًا تقريباً، وقد رمزت لها بالحرف: (ب).

(١) قال النبي ﷺ: « لا يشكرُ اللهُ من لا يشكرُ الناسَ » واستناداً على هذا الحديث فإنني أشكرُ كلاً من الأخوين الحميميين الفاضلين: فهد بن سالم الطويل، ومحمد بن فاضل الراشد لمشاركتها في مقابلة النص وتصحيحه، كما أشكر كلاً من الأخ: مساعد عبد الله السعدي، والأخ: أيمن الحنيح لتعاونهما في الحصول على النسخ الخطية.

\* نسخة طُبعت في حياة المصنف رحمته الله في مطبعة دمشق سنة ١٣٧٢هـ، الموافق (١٩٥٣م)، قبل وفاته بثلاث سنين، وجاء عنوان الرسالة في الغلاف: (سؤال وجواب في أهمّ المُهمّات)، وهي نسخة جيّدة، إلا أن فيها بعض التحريفات والتصحيّفات، وقد اتَّخذتها أصلاً، ورمزت لها في الهامش بـ(الأصل)، وإنما قدّمتها على النسختين الخطيّتين لثلاثة أمور:

- الأول: كونها كاملة بخلاف النسختين الخطيّتين.

- الثاني: أنّها طُبعت في حياة المصنّف رحمته الله كما تقدّم، وهذا يدلُّ على أنّه اعتمد ما فيها.

- الثالث: امتازت هذه النسخة بزياداتٍ، وتتميماتٍ ليست بالقليلة؛ ممّا يُبين أنها طُبعت عن نسخةٍ متأخرةٍ لهذه الرسالة.

وقد ذكّرت في الهامش الفروقات المُهمّة، والزيادات المؤثرة، التي وقعت في النسختين الخطيّتين لتعمّ الفائدة، ولم أنبّه غالباً على الزيادات التي وقعت في الأصل دون النسختين المتقدمة لكثرتها، والله الموفّق.

\* نسخة طُبعت بتحقيق فضيلة الشيخ / عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم رحمته الله، وقد قابَلها الشيخ بطبعة دمشق المتقدّمة.

\* نسخة طُبعت ضمن مجموع مؤلّفات الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمته الله، إصدار دار الميمان.

وأوردت في هامش الرسالة فوائدها عديدة، وفرائد نفيسة، انتقيتها من شرح شيخنا / عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر - حفظه الله - على هذه

الرسالة القيّمة، تمييزاً للفائدة والنصح، وزيادةً في التوضيح والبيان، وأصلُ هذا الشرح في مسجد عائشة بن عبد الله المحري بمنطقة المسائل في دولة الكويت، بتنسيقٍ من مكتب الشؤون الفنية التابع لقطاع المساجد بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، في الفترة من ٨ / ١٢ / ٢٠١٥م وحتى ١٠ / ١٢ / ٢٠١٥م، فجميع ما في هامش هذه الرسالة ما يكون رقمه باللون الأحمر في البداية هو مما استفدته من الشرح المشار إليه، بتصرفات يسيرة، وتتميماتٍ في بعض العبارات والنقولات، وما سواه جعلت رقمه بالهامش باللون الأسود، وميّزتُ الفروقات بين النسخ عمّا في الأصل بالعلامة (●) بالهامش.

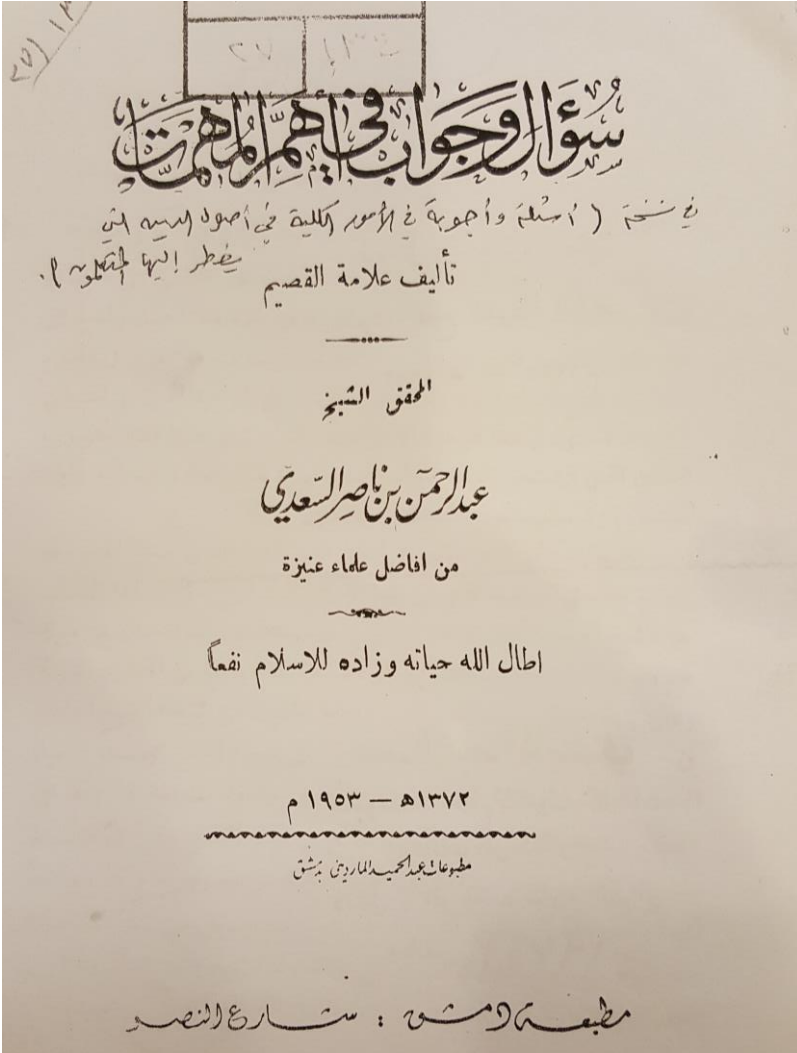
وقد أطلعتُ الشيخَ - حفظه الله - وراجعتُهُ فيها كلّها والله الحمد.  
والله أسأل أن يبارك في هذا العمل، وأن يتقبلهُ، وأن ينفع به، وأن يغفرَ لمؤلفه ويرفع درجته في عليين.  
وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

خالد بن عبد الله بن علي الكندري

[k.alkandry@hotmail.com](mailto:k.alkandry@hotmail.com)

نماذج مصورة من النسخ (١)



صورة الغلاف من الأصل

(١) اقتصر في إيراد صور النسختين الخطيتين وطبعة دمشق، وأما غيرها من الطبقات فمشهورة ومتداولة.

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ماله من الأسماء الحسنى والصفات الكاملة  
والنعم السابقة واصلي على محمد المبعوث لإصلاح الدين والدنيا  
والآخرة أما بعد فهذه رسالة مختصرة احتوت على أهم المهمات  
من أمور الدين واصل الإيمان تدعو الحاجة والضرورة إلى  
معرفة <sup>جديدها</sup> جلتمعها على وجه السؤال والجواب لأنه أقرب إلى الفهم  
والتفهيم وأوضح في التعلم والتعليم .

### السؤال الأول

ما حد التوحيد وما أقسامه

الجواب : حد التوحيد الجامع لكل أنواعه هو علم العبد  
واعتقاده واعترافه وإيمانه بتفرد الرب بكل صفة كمال وتوحيده  
في ذلك واعتقاده أنه لا شريك له ولا مثيل له في كماله وأنه ذو

— ٤ —

١ ٢

والتوجيهات النافعة التي تشتمل على الصلاح المطلق والاستعانة  
بعلوم المادة الصحيحة على الخير والصلاح والنجاح فالاسلامُ بأمرٍ  
ويحث على تحصيل السعادتين وتكميل الفضيلتين ومن تأمل ما جاء  
به الدين الإسلامي من الكتاب والسنة جملة وتفصيلاً عرف أنه  
لإصلاح للبشر الا بالرجوع الى هدايته الله وارشاده وأنه كما  
اصحح العقائد والاخلاق والاعمال فقد اصدح أمور الدنيا  
وارشد الى كل ما يعود الى الخير والنفيع العام والخاص والله  
الموفق الهادي وصلى الله على محمد وسلم .

★★  
★★

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما اهدانا لهذا العلم العظيم والصفات الكاملة والنعم العظيمة واصلي على محمد المبعوث لصالح الدين  
والدنيا والاخرة اما بعد فهذه المسئلة واجوبتها في الاصول الخمسة من اصول الدين التي يفتقر اليها جميع

المتعلمين **السؤال الاول** ما حد التوحيد واقسامه

**الجواب** حد التوحيد الجامع لكل انواعه هو علم العبد واعتماده وایمانه  
بتفرد الرب بكل صفة كانه لا شريك له ولا امثيل له في كماله وانه ذو  
اللازمية والعبودية على خلقه اجمعين ثم افرد به بانواع العبادة فذخر في  
هذه التعريف اقسام التوحيد الثلاثة توحيد الربوبية الذي هو الاعتقاد بانفراد  
الرب بالخلق والربوبية والتدبير والترسية وتوحيد الاسماء والصفات وهو انبات جميع  
ما اثبت الله لنفسه او اثبت له رسوله صلى الله عليه وسلم من الاسماء الحسنی والصفات الكاملة  
العلیة من غير تشبيه ولا تعطيل ومن غير تحريف ولا تعطيل وتوحيد العبادة وهو  
افردة وحده باجناس العبادة وانواعها وافردتها من غير اشتراك به في شئی منها

**السؤال الثاني** ما هو الايمان واصوله الظاهر وما الاسلام

**الجواب** اصول الايمان ما احتوت عليه هذه الاية الكریمة قولها انا بان الله وما انزلنا  
وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى وما  
اوتى النبيين من امرهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون فجمع بين الايمان بجميع  
الرسول والكتب وبالاسلام لله وحده وما فرسه به النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل  
حيث فرس الايمان بالايمان بالله وما لاكتسبه وكتبه ورسله واليوم الاحقر والقدر  
خيرة وشيخة وفر الاسلام بشراعه الطارق منها ذلك ان الاله الاله وان محمد رسول الله  
وقام الصلاة وقيام الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام

**السؤال الثالث** ما درجات الايمان بالله وما صفة ذلك

**الجواب** ارکان الايمان بالله ثلاث درجات ايمان بالاسماء الحسنی كلها وایمان  
بمادته عليه من الصفات الكاملة وایمان باحكام صفاته وارتباطها فنقسم

الصفحة الأولى من النسخة (أ).

المؤمن اذا اتته النعم تلقاها بالسرور فيها فيما ينعم ويعود عليه بالخير وغير المؤمن يتلقاها  
 بالأسر وبطرا واستغرابا بالنعم عن النعم وعن شكره ويصرفها في اغراضه سفلية ثم يعرفها اما اسرع زوالها  
 واقل بقاها المؤمن اذا صابته المصائب والمكاره تلقاها بصبر وحسابه ارتعاب للثواب ورجاء  
 وطمع في زوالها فيكون ما عرض من الخير الثواب والخاتمة وكثرة قلب عظم ما خاتمة ما محبوب او حصل له ما فركه  
 والجاحد يتلقاها بملح وجزع فتزداد مصيبتيه ويجمع عليه الالم الظاهر والباطن قد عدم الصبر والسرور جاء  
 في حصوله الجحيم فما عظم جزعه وما اند حسرتة الحاضرة والمستقرة في المؤمن يدين الله بالايمان بجميع ارباب  
 وتعليمه وتقدم حقبة على حبة الخلق كله ومعرفته ان كل خير فيه الخلق اليوم لقيمة فعلك ايدهم وقد حصل بارئاهم  
 وكل شر وضرر ينال الخلق فسيبها فحاجات به ارباب فهم عظم الخلق احب اليه الخلق وفضوا اربابهم وداخهم محمد  
 صلى الله عليه وسلم الذي جعل الله رحمة للعالمين كلامه ويعينه بكل صلاح واصلاح واما المحذون فيصنع هذه الحال يعطون  
 اعداءه اربابا ويحترمون اعداءهم ويهزؤون كما لا يفرحون بما جابت به اربابهم ولا يندبوا لغيره على سخافة عقولهم وبسبوط اخلاقهم  
 الى المنقلب فليتب المؤمن يدين الله بحبته اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن فاضلة الذين سبقوا الناس الى الخير والتمتاض عن ذنوب الاقتداء  
 الاسلام والتوحيد قد نهى كل ذلك في هدي القرآن فاضلة الذين سبقوا الناس الى الخير والتمتاض عن ذنوب الاقتداء  
 بكل ذلك في قوله تعالى وما تروا من امة الا لله في صوابهم ولا يدين الله بها الا الله تعالى وما تروا من امة الا لله في صوابهم ولا يدين الله بها الا الله تعالى  
 اعداءه اربابا ويحترمون اعداءهم ولا يفرحون بما جابت به اربابهم ولا يندبوا لغيره على سخافة عقولهم وبسبوط اخلاقهم  
 المؤمن وكان خلاصه لله يجعل الله وحسن الى عباد الله والرسا في بيوم اللاتمين والاربعين مما ذكره عدم  
 يشكر الذي يحسن اليهم وان حاله يقول انما نعمل الحسن لوجه الله لا نريد ما احد منكم الا لوجه الله لا نريد ما احد منكم الا لوجه الله لا نريد ما احد منكم الا لوجه الله  
 محنتا وانما بعد الله واما الجاحد فليس يجعل غاية الاصيل في ضد الحسن فلهذا نكبت ضد  
 العوارض المتشعبة وليس غلظة منكم علمه ولا اله الا الله والارباب في حبه والارباب في حبه والارباب في حبه  
 المؤمن يشرح الصدر بالعلم النافع وبالاعيان الصريح وبالاقبال على الله واللهم بذكور والاحسان الى الخلق وسلامة  
 الصدر من الارصاف الذميمة والجاحد الغافل بصدد ذنوبه لفقد الاسباب للصحة الانشراح الصدر

الصفحة الأخيرة من النسخة (أ)

بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله رب العالمين واستعينه على جميع أمور الدنيا والآخرة وأصلح علمي وعلماي وجميع  
أقاربكم وهذه المسئلة واحدة في أصولها من حيث ضبط اللفظ بجميع  
المعلمين والمتعلمين

السؤال الأول ما حد التوحيد وأقسامه

الجواب وبالله استعين واقتد حد التوحيد الجامع لكل أنواعه هو علم العبد  
واعتقاده وإيمانه بغيره الرب بكل صفة كمال وأنه لا شريك له ولا ند في  
كامله ولا مثيل وأنه ذو الوعية والعبودية على خلقه أجمعين ثم أفرادة بأنواع العبادة  
فدخل في هذه التسمية أقسام التوحيد الثلاثة توحيد الربوبية الذي هو اعتقاد  
انفراد الرب بالخلق والرزق والتدبير وتوحيد الاسماء والصفات وهو إثبات  
جميع ما أثبتته لنفسه أو أثبتته لرسوله من الاسماء الحسنى والصفات الكاملة  
العلوية ما غير تشبيه ولا تمثيل وما غير تحريف ولا تقطيل وتوحيد العبادة  
وهو أفرادة وحده بأجناس العبادة وأنواعها وأفرادها ما غير إشراك به  
في شيء منها مع الاعتراف بأنه لا اله الا هو

سؤال ثان ما هو الإيمان وأصوله الكلية وما الاسلام

الجواب هو ما احتوت عليه هذه الآية الكرسة قولوا ما بانهم وما انزل اليك  
وما انزل الي ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى  
وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرك بين احد منهم ونخذله مسلمون

١٨

سؤال ما حقوق المسلمين عليهن

الجواب قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة فالواجب ان تتخذ لهم اخوانا تحب لهم ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك وتسعى يجب مقدورك في مصالحهم وتجد اجتماعهم على الحق وتألّفهم واصلاح ذات بينهم والمسلم اخوانك المظلّم ولا تجذله ولا تكذب به ولا يحقره ولا يقوم بحقوقه له حقوق عليه لولد او قرابة او حرة او صحبة او احسان او غير هذا

١٩

سؤال ما حقكم في اصحاب النبي ص

الجواب تقول ما مقام محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والاعيان به محبة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم احبب من انفسهم ونفقته لهم ما لفضائله والسوابق المناقب ما فعلوا به سائر الامة ونذري محبتهم وشرفنا لهم ونميد عما شجر بينهم ونفقته لهم اذا الامة ريك صلته محبة الله واسبقهم الى الجنة بعد النبي ص

٢٠

سؤال ما تقولون في الامامة

الجواب نقصد بالامامة لا تقضي عن امامة بغيرهم كما دنيها ودنياها او يدفع عنها عاديتها المعتد بها ولا تتم ما مئة الا بطاعتها وفيه قصصية الله ولا يتم له الامم شرعي والعدوى الا باسعمال شورى الاعل الحول والعقد والاعل الحقوق وانما لا يتم ذلك الا بالانوار بالكون والنفوس المشرقة على ما تجبه الشريعة وبرهان الجهاد ما وضع الامم ابرار الكافر او غير هذا

٢١

سؤال ما هو شرط الاستقيم المراد الله الاكراهة وما صفتهم وما وصفهم فصل  
الجواب وبالله العانة المراد المستقيم يرجع الى العلم كمنافع والعلل الصالح فالعلم كمنافع هو ما جاد به الرسول ص من الكتاب وسنة الاجتهاد في معرفة ذلك ومعرفة ما يعني عليه من سائر الفنون والعلوم والعلل الصالح هو مقترب اليه بالاعتقاد والهيمنة والافاضة والاحسان المحرمات والقيام بحقوق الله وقوله خلقه الواجبة والمسحبة ولا يتم عمل الابراقر الص التامة والمتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم

# نص الرسالة



الحمدُ لله على ما له من الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة، والنعم السابِغة<sup>(١)</sup>، وأصليّ على محمدٍ المبعوث لصلاح الدين والدُّنيا والآخرة<sup>(٢)</sup>.

أمَّا بعد:

(١) الحمد: هو الثناء على الله ﷻ مع المحبة والتعظيم، وهو نوعان:

\* حمدٌ على ما له من الأسماء الحسنى والصفات العلى.

\* وحمدٌ على النعم التي لا تُعدُّ ولا تُحصى، والمن التي لا تُستقصى.

والمصنف **رحمته** جمع في هذا الاستهلال الحمد بنوعيه.

(٢) هذه الأمور الثلاثة التي أشار لها المصنف قد جمعها النبي ﷺ في دعوة عظيمة، كان يدعو

بها فيقول: «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمةُ أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي،

وأصلح لي آخري التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، والموت راحة لي من

كل شرّ». [أخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب: الذكر والدعاء، رقم: (٢٧٢٠)].

ويتنظم هذا كله ويجمع في دعائه العظيم الذي علمه ابنته فاطمة **رضي الله عنها**، وأمرها

أن تقولهُ في كلِّ صباحٍ ومساءً: «اللهم رحمتك أرجو، فلا تكليني إلى نفسي طرفة عين،

وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت». [أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» كتاب:

عمل اليوم والليلة، رقم: (١٠٣٣٠)، وصححه الألباني **رحمته** في «السلسلة الصحيحة»،

رقم: (٢٤٥٧)].

فهذه رسالةٌ مُختصرةٌ احتوت على أهمِّ المهَمَّات من أمور الدين، وأصول الإيمان، تدعو الحاجة والضرورة إلى معرفتها، جعلتها على وجه السؤال والجواب؛ لأنه أقرب إلى الفهم والتفهم، وأوضح في التعلُّم والتعليم<sup>(١)</sup>.



(١) هذه الطريقة نافعة جداً في التعليم كما ذكر المصنّف رحمته الله، وكثيراً ما يأتي البيان في أحاديث الرسول صلَّى الله عليه وآله بهذه الطريقة؛ فيسأل صلَّى الله عليه وآله الصحابة سؤالاً حتى تتيقظ الأذهان، وتتشوّف النفوس، وتشتاق القلوب، ثم من بعد ذلك يأتي الجواب والبيان والفائدة، فيكون ذلك أمكن في تحقُّق الفائدة وتقرُّرها.

• جاء في (أ) بعد قوله: (أما بعد) بدل المقدمة التي في الأصل: (فهذه أسئلةٌ وأجوبتها في الأمور المهمة من أصول الدين التي يضطرُّ إليها جميع المتعلمين).  
ونحوها العبارة في (ب) قال: (فهذه أسئلةٌ وأجوبة في أصول الدين يضطرُّ إليها جميع المُعلِّمين والمتعلِّمين)

## السؤال الأول

ما حدُّ التوحيد؟ وما أقسامه؟

الجواب<sup>(١)</sup>: حدُّ التوحيد الجامع لكل أنواعه هو:

علمُ العبد واعتقاده واعترافه وإيمانه بتفرد الرب بكل صفةٍ كمالٍ، وتوحيده في ذلك، واعتقاده أنه لا شريك له، ولا مثيل له في كماله، وأنه ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، ثم إفراده بأنواع العبادة<sup>(٢)</sup>.

فدخل في هذا التعريف أقسامُ التوحيد الثلاثة:

(١) • زاد في (ب): (وبالله أستعين).

(٢) ذكر المصنف رحمته الله في هذه الجملة حدَّ التوحيد الجامع لجميع أنواعه، وقد تضمن الحدَّ جانبيين: علمياً، وعملياً، فلا يكون التوحيد إلا بعلم وعمل.

وقد بيّن الله تعالى أن هذين النوعين هما الغاية من الخلق، فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال في آخر سورة الطلاق ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

ففي آية الذاريات ذكر الغاية الأولى من الخلق في قوله: ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾، وفي آية الطلاق ذكر الغاية الثانية من الخلق في قوله: ﴿لِيَعْلَمُوا﴾، فالتوحيد لا يكون إلا بعلم وعمل؛ معرفة وإثبات، وقصد وطلب.

**أحدها:** توحيد الربوبية، وهو: الاعتراف بانفراد الرب بالخلق، والرزق، والتدبير، والتربية.

**الثاني:** توحيد الأسماء والصفات، وهو: إثبات جميع ما أثبتته الله لنفسه، أو أثبتته له رسوله محمد ﷺ من الأسماء الحسنى، وما دلت عليه من الصفات؛ من غير تشبيه ولا تمثيل<sup>(١)</sup>، ومن غير تحريف ولا تعطيل<sup>(٢)</sup>.

(١) الأدق أن يقال: (من غير تكيف ولا تمثيل)؛ وبهذا يعبر الشيخ نفسه ﷺ وغيره من أهل العلم في مواضع كثيرة.

(٢) هذه المحترزات الأربع: (التمثيل والتكيف، والتحريف والتعطيل) يجب على كل مسلم أن يكون في غاية الحذر منها، والبعد عنها؛ لأنها كلها تُعدُّ من الإلحاد في أسماء الله وصفاته الذي قال الله ﷻ فيه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

\* فأما التمثيل: فهو أن تُثبَّت الصفات لله على وجه يماثل وصف المخلوق، كما يقول المُمَثِّلَة - تعالى الله عما يقولون -: (يدُّ كأيدينا، وسمعُ كسمعنا)، وهذا منافٍ لقول الله ﷻ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

\* وأما التكيف: فهو أن يخوض في الصفات ويحاول معرفة كيفيتها، وقد قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾، والتكيف من أشد أنواع القول على الله ﷻ بلا علم، ويدخل في ذلك مَنْ يسأل عن صفات الله ﷻ بـ(كيف)، ولهذا اشتدَّ غضب الإمام مالك ﷺ لما قال له رجل ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ كيف استوى؟ فقال ﷺ: (الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول،

**الثالث:** توحيد العبادة، وهو: إفرادُ الله وَحْدَهُ بأجناسِ العبادات وأنواعِها وأفرادِها<sup>(١)</sup>، وإخلاصُها لله<sup>(٢)</sup>؛ من غير إشرِكٍ أحدٍ في شيءٍ منها. فهذه أقسام التوحيد التي لا يكون العبدُ موحداً حتى يلتزمَ بها كلها، ويقومَ بها.

والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، فإني أخاف أن تكون ضالاً، وأمر به فأخرج. [أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٢/٣٩٨)، وصححه الحافظ الذهبي في «العلو» ص ١٠٣]، ومُرَادُ الإِمَامِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بقوله: (والكيف غير معقول) أي: غير معلوم لنا، فهو نفيٌ لِعِلْمِنَا بالكيفية، وليس نفيّاً للكيفية؛ لأن ما لا كيفية له لا وجود له، فصفات الله لها كيفية والله أعلم بها.

\* **والتحريف:** هو إعطاء اللفظ معنى لفظ آخر، كقول المحرّفة: الاستواء معناه الاستيلاء، والرحمة معناها إرادة الإنعام، والغضب معناه إرادة الانتقام ونحو ذلك، فهذا كله من التحريف لصفات الله ﷻ.

\* **وأما التعطيل:** فهو النفي والجحد لما أثبتته الله ورسوله ﷺ من الأسماء والصفات. (١) فالعبادات أجناس متنوعة كالصلاة والنسك والحج وغيره، وفي هذه الأجناس أنواع من العبادات، وفي الأنواع يندرج أفراد من العبادات، ويتضح ذلك بالمثال: فالصلوات جنسٌ، والصلاة المفروضة نوعٌ، وصلاة الظهر من الأفراد، وكذا يقال في الذبح هو جنسٌ، وذبح الأضحية نوعٌ، وذبح شاة معينة فردٌ، والله أعلم.

(٢) **الخالص:** هو الصافي النقي، والمقصودُ بإخلاص العبادة: هو أن يُؤتى بها صافيةً نقيّةً، لا يُراد بها إلا الله ﷻ، كما قال ﷻ: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، وقال تعالى:

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥].

## السؤال الثاني

ما هو الإيمان والإسلام وأصولهما الكليّة؟

الجواب: الإيمان هو التصديق الجازم بجميع ما أمر الله ورسوله بالتصديق به؛ المتضمّن للعَمَلِ؛ الذي هو الإسلام، وهو: الاستِسْلَامُ لله وحده، والانقيادُ لطاعته.

وأما أصولُهما<sup>(١)</sup> فهي ما احتوت عليه هذه الآية الكريمة: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وما فسّره به النبي ﷺ في حديث جبريل وغيره حيث قال: «الإيمان: أن تُؤْمِنَ بالله، وملائكته، وكتبه، ورُسُلِهِ، واليوم الآخر، والقدرِ خيره وشرّه،

(١) يعني أصول الإيمان والإسلام، ومراد المصنف ﷺ حال اجتماعهما، أما إذا أُفِرِدَ كُلُّ واحدٍ منهما فإنه يشمل معنى الآخر، على القاعدة المشهورة: (إذا اجتمعَا افترقَا، وإذا افترقَا اجتمعَا)؛ فإذا اجتمع الإسلام والإيمان في الذّكرِ افترقا في المعنى، فيطلق الإسلام على الأعمال الظاهرة، ويطلق الإيمان على الاعتقاد وأعمال القلوب، وإذا افترقا في الذّكرِ اجتمعَا في المعنى فيُطلق كُلُّ واحدٍ منهما على الآخر.

(٢) سورة البقرة، آية رقم: ١٣٦.

والإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتُحج البيت»<sup>(١)</sup>.

ففسر الإيمان بعقائد القلوب، وفسر الإسلام بالقيام بالشرائع الظاهرة.



(١) قطعة من حديث جبريل عليه السلام الطويل المخرّج في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، [أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب: الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والإيمان والإحسان وعلم الساعة، رقم: (٥٠)، ومسلم في «صحيحه» كتاب: الإيمان، رقم: (٩)]، ورواه غيره من الصحابة رضي الله عنهم.

## السؤال الثالث

ما هي أركان الإيمان بأسماء الله وصفاته؟

الجواب: هي ثلاثة:

\* إيمانٌ بالأسماء الحسنى كُلِّها.

\* وإيمانٌ بما دلَّت عليه من الصفات <sup>(١)</sup>.

\* وإيمانٌ بأحكام صفاتهٍ ومتعلقاتها.

فتؤمنُ بأنَّه عليمٌ؛ له العلمُ الكاملُ المحيطُ بكلِّ شيءٍ، وأنَّه قديرٌ؛ ذو قُدرةٍ عظيمةٍ؛ يَقْدِرُ بها على كلِّ شيءٍ، وأنَّه رحيمٌ رحمنٌ؛ ذو رحمةٍ واسعةٍ؛ يرحمُ بها من يشاءُ، وهكذا بقية الأسماء الحسنى، والصفات، ومتعلقاتها <sup>(٢)</sup>.

(١) • زاد في (أ) و (ب): (الكاملة).

٢ ( ) الإيمان بهذه الأركان الثلاثة المذكورة إنما يحصل إذا كان الاسم دالاً على وصف متعدٍ، كالأمثلة التي أوردها المصنف **رَحْمَانُهُ**، أما إذا كان الاسم دالاً على وصف لازم فللايمان به ركنان:

\* إيمانٌ بالاسم.

\* إيمانٌ بالصفة المتضمنة لهذا الاسم.

**مثاله:** الحي فإنه يدل على صفة الحياة، والعظيم يدلُّ على صفة العظمة، وهكذا بقية الأسماء الدالة على وصف لازم.

## السؤال الرابع

ما قولكم في مسألة علو الله على الخلق واستوائه على العرش؟

الجواب: نعرف ربنا بأنه عليّ أعلى، بكل معنى واعتبار؛ علو الذات، وعلو القدر والصفات، وعلو القهر.

وأنه بائن من خلقه<sup>(١)</sup>، مستو على عرشه كما وصف لنا نفسه بذلك، والاستواء معلوم، والكيف مجهول، فقد أخبرنا أنه استوى، ولم يُخبرنا عن الكيفية.

وكذلك نقول في جميع صفات الباري: إنّه أخبرنا بها، ولم يُخبرنا عن كيفيةها، فعلينا أن نؤمن بكل ما أخبرنا في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، ولا نزيد على ذلك، ولا ننقص منه.



(١) هذه الكلمة يكثر ذكرها في كتب السلف، وهي كلمة صحيحة، لا إشكال فيها، لأنها من باب الإخبار عن الله ﷻ أنه ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، فهو مستو على عرشه بائن من خلقه.

## السؤال الخامس

ما قولكم في الرحمة والنزول إلى السماء الدنيا، ونحوها؟

الجواب: نؤمن<sup>(١)</sup>، ونُقِرُّ بِكُلِّ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ مِنَ الرَّحْمَةِ، والرضى، والنُّزُولِ، والمَّجِيءِ، وبما وَصَفَهُ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ عَلَى وَجْهِ لَا يُبَايِلُهُ فِيهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ، فَإِنَّهُ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾<sup>(٢)</sup>، فَكَمَا أَنَّ اللَّهَ ذَاتًا لَا تُشَبِّهُهَا الذَّوَاتُ، فَلَهُ تَعَالَى صِفَاتٍ لَا تُشَبِّهُهَا الصِّفَاتُ<sup>(٣)</sup>.

وبرهان ذلك: ما ثَبَتَ مِنَ التَّفْصِيْلَاتِ الْعَظِيْمَةِ فِي الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ فِي إِثْبَاتِهَا، وَالثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ بِهَا، وَمَا وَرَدَ عَلَى وَجْهِ الْعَمُومِ فِي تَنْزِيهِهِ عَنِ الْمِثْلِ، وَالنَّدِّ، وَالْكُفُوِّ، وَالشَّرِيكِ.

(١) • جاء في (أ) و (ب) بدلها: (تُثْبِتُهَا، وَنُؤْمِنُ...).

(٢) سورة الشورى، آية رقم: ١١.

(٣) فإثبات هذه الصفات يكون على الوجه اللائق بالله ﷻ، فإذا جاء الْمُعْطَلُ وَقَالَ مثلاً: صفة الغضب لا تليق بالله ﷻ، لأنَّ الغضبَ هو غليان الدم، وانفعالات في النفس، وأشياء من هذا القبيل، يُقَالُ لَهُ: أَنْتَ تَتَحَدَّثُ عَنِ غَضَبِ الْمَخْلُوقِ، وَأَمَّا صِفَاتُ اللَّهِ ﷻ فَإِنَّهُ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، وبهذا نعلم أَنَّ الْمُعْطَلَةَ شَبَّهُوا أَوْلَى صِفَاتِ اللَّهِ ﷻ بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، ثُمَّ عَطَّلُوا صِفَاتِ اللَّهِ ﷻ.

## السؤال السادس

### ما قولكم في كلام الله، وفي القرآن؟

الجواب: نقول القرآن كلامُ الله، مُنَزَّلٌ غيرُ مخلوقٍ<sup>(١)</sup>، منه بدأ وإليه يعودُ<sup>(٢)</sup>، والله المتكلمُ به حَقًّا؛ لفظه ومعانيه، ولم يزل ولا يزال مُتَكَلِّمًا بما شاء، إذا شاء، وكلامه لا ينفد، ولا له مُنْتَهَى.

(١) هذه العبارة: (غير مخلوق) لم ترد - بهذا اللفظ - في القرآن الكريم ولا في السنة، لكن دلائلها وشواهدُها وبراهينها في الكتاب والسنة كثيرة، وهي محلُّ إجماع سلف هذه الأمة كلِّهم، وإنما احتاج العلماء للتعبير بها ردًّا على مقالة الجهمية ومن لفَّ لفهم من أهل التعطيل، فإنهم لما زعموا أن القرآن مخلوق، واعتبروا إضافة الكلام إليه إضافة خلق - تعالى الله عما يقولون - احتاج السلف إلى التنصيص على أنه غير مخلوق، وجعلوها جزءًا من المعتقد، بل لا يستقيم إيمان عبدٍ في هذا الباب حتى يعتقد ما دلَّت عليه.

(٢) قوله (منه بدأ): أي تكلم الله ﷻ به ابتداءً، وهو تنزيُّله ووحْيُهُ، قال تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة: ٢]، والكلام يضاف إلى من قاله ابتداءً، لا لمن نقله أداءً.

وقوله (وإليه يعود) أي: يُرْفَعُ في آخر الزمان، فيصبحُ الناسُ وليس في الصُّدُورِ منه شيء، ولا في السُّطُورِ منه شيء، كما وردَ عن ابن مسعودٍ ﷺ قال: «لَيْسَرَيْنَ عَلَى الْقُرْآنِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَلَا يُتْرَكُ آيَةٌ فِي مِصْحَفٍ، وَلَا فِي قَلْبِ أَحَدٍ إِلَّا رُفِعَتْ» [أخرجه الدارمي في «سننه» كتاب: فضائل القرآن، باب: تعاهد القرآن، رقم: (٣٦٦٣) بسند صحيح].

## السؤال السابع

ما هو الإيمان المُطلق؟ وهل يزيد وينقص؟

الجواب: الإيمان اسمٌ جامعٌ لعقائد القلب، وأعماله، وأعمال الجوارح، وأقوال اللسان، فجميع الدين - أصوله وفروعه - داخلٌ في الإيمان، ويترتبُ على ذلك أنه يزيدُ بقوة الاعتقاد وكثرتِه<sup>(١)</sup>، وحُسن الأعمال والأقوال وكثرتها، وينقصُ بضدِّ ذلك.



(١) المعتقد له جانبان:

\* جانب القوة والضعف. \* وجانب الكثرة والقلة.

فقوة الإيمان والاعتقاد تكون بالشواهد والبراهين التي تُقوي الإيمان وترسخه وتمكّنه في القلب.

وكثرتِه تكون بمعرفة تفاصيل المعتقد؛ فعند تعلّمك لمسائل الاعتقاد؛ من الإيمان بالله واليوم الآخر، وما فيها من تفصيلات، يزداد بذلك الإيمان.

## السؤال الثامن ما حُكْمُ الْفَاسِقِ الْمَلِيٍّ (١)؟

الجواب: مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا مُوَحَّدًا وَهُوَ مُصِرًّا عَلَى الْمَعَاصِي فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِمَا مَعَهُ مِنَ الْإِيمَانِ، فَاسِقٌ بِمَا تَرَكَهُ مِنْ وَاجِبَاتِ الْإِيمَانِ (٢)، نَاقِصُ الْإِيمَانِ، مُسْتَحِقٌّ لِلْوَعْدِ بِإِيمَانِهِ، وَلِلْوَعِيدِ بِمَعَاصِيهِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ، فَالْإِيمَانُ الْمَطْلُوقُ التَّامُّ يَمْنَعُ مِنْ دُخُولِ النَّارِ، وَالْإِيمَانُ النَّاقِصُ يَمْنَعُ مِنَ الْخُلُودِ فِيهَا.

(١) ذَكَرَ الْمَصْنُفُ **رَحِمَهُ اللهُ** هَذَا الْقَيْدَ: (الفاسيق المَلِيٌّ) لِأَنَّ الْفَسَقَ فِسْقَانِ: فِسْقٌ أَكْبَرُ، يَنْقُلُ صَاحِبُهُ عَنِ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ إِلَى الْكُفْرِ، كَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

وَالْفَسْقُ الثَّانِي فَسْقٌ أَصْغَرُ، وَهُوَ دُونَ الْفَسْقِ الْأَكْبَرِ، غَيْرُ نَاقِلٍ عَنِ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ، وَيُسَمَّى فَاعِلُهُ بِالْفَاسِقِ الْمَلِيٍّ، وَيَكُونُ ذَلِكَ بِفِعْلِ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ، كَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].

وَسَبَبُ إِيرَادِ حُكْمِ الْفَاسِقِ الْمَلِيٍّ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ لِأَنَّهُ انْحَرَفَتْ فِي حُكْمِهِ وَمَالِهِ فَرَقَتَانِ: فَالْخَوَارِجُ: يَخْرُجُونَ مِنَ الْمِلَّةِ، وَيَعُدُّونَ مَرْتَكِبِ الْكِبِيرَةِ كَافِرًا مُخَلَّدًا أَبَدَ الْأَبَادِ فِي النَّارِ. وَالْمَرْجُؤَةُ - وَلَا سِيَّامَا الْغُلَاةُ -: عَلَى النَّقِيضِ مِنَ الْخَوَارِجِ فَعِنْدَهُمْ أَنَّ الْمَعَاصِيَ لَا تُضَرُّ فِي الْإِيمَانِ، فَالْإِيمَانُ كَامِلٌ وَتَامٌ مَعَ وُجُودِ الْمَعَاصِي.

(٢) وَيُضَافُ سَبَبٌ آخَرٌ لِلْفَسْقِ وَهُوَ: (فَعْلُ الْمَحْرَمَاتِ)، فَإِنَّ الْكِبِيرَةَ الْمُفْسِقَةَ تَكُونُ بِتَرْكِ الْوَاجِبَاتِ، وَبِفِعْلِ الْمَحْرَمَاتِ وَالْآثَامِ.

## السؤال التاسع

كَمْ مراتبُ المؤمنين؟ وما هي؟

الجوابُ: المؤمنون ثلاثة أقسامٍ:

\* سابقون إلى الخيرات؛ وهم الذين قاموا بالواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات.

\* ومقتصدون؛ وهم الذين اقتصروا على أداء الواجبات، واجتنب المحرمات.

\* وظالمون لأنفسهم؛ وهم الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً<sup>(١)</sup>.

(١) هذه القسمة التي ذكرها المصنف لأهل الإيمان قد جمعها الله ﷻ في قوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴿٣٣﴾ [فاطر: ٣٢] أي: الثلاثة، كلُّهم سيدخل الجنة، أما المقتصد والسابق بالخيرات: فإن دخولهما للجنة دخولاً أولياً، دون حساب ولا عذاب؛ وذلك أن المقتصد فعل الواجبات، وترك المحرمات، فلم يحصل منه ما يوجب العقوبة.

وأما السابق بالخيرات فإنه زاد في باب الرغائب والنوافل والمستحبات، والمسابقة في الخيرات، فنال بذلك علو المنازل والدرجات.

وأما الظالم لنفسه فإن ماله أن يدخل الجنة، ولكنه قد يمر قبل ذلك بمرحلة تطهير وتنقية من ذنوبه، فيكون معرضاً لدخول النار، لكنّه لا يُخلد فيها بل يخرج منها بعد أن

## السؤال العاشر

### ما حُكْمُ أفعال العباد<sup>(١)</sup>؟

الجواب: أفعال العباد كُلُّها من الطاعات والمعاصي داخلةٌ في خلقِ الله وقضائه وقدره، ولكنَّهم هُمُ الفاعِلون لها، لم يُجبرهم اللهُ عليها؛ [ومَعَ ذلك لم تقعَ بغيرِ مشيئتهِ وقُدْرتهِ]<sup>(٢)</sup>، فهي فِعْلُهُم حَقِيقَةً، وهُم الموصوفون بها، المُثابون والمُعاقبون عليها، وهي خَلَقُ اللهُ حَقِيقَةً، فَإِنَّ اللهَ خَلَقَهُمْ وَخَلَقَ مَشِيئَتَهُمْ وَقُدْرَتَهُمْ، وَجَمِيعَ ما يَقَعُ بِذلك.

فنؤمِّنُ بِجَمِيعِ نصوصِ الكتابِ والسنةِ الدالَّةِ على شُمولِ خلقِ الله

يتطهر، كما ثبت عن النبي ﷺ قال: «ولكن ناسٌ أصابتهم النارُ بذنوبهم فأماهم إمامة حتى إذا كانوا فحماً، أُذِنَ بالشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر - أي: جماعات متفرقة - فَبُثُّوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة، أفيضوا عليهم، فينبُتُون نبات الحَبَّة تكون في حِميل السَّيْلِ». [أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب: الإيَّان، باب: تفاضل أهل الإيَّان، رقم:

(٢٢)، ومسلم في «صحيحه» كتاب: الإيَّان، رقم: (١٨٥)].

(١) المقصود بأفعال العباد: ما يقعُ منهم من أفعالٍ حسنةٍ وقيحةٍ، كالطاعات والمعاصي، والإيَّان والكُفر، فهذه كلها بتدبيرِ الله وتقديره ﷻ، ولا يقعُ شيءٌ من الأمور والأفعال والحركات والسكنات إلا بقضاءِ الله ﷻ وقدره.

(٢) ● جاء في الأصل: (مع أنها واقعة بمشيئتهم وقدرتهم)، والمُثبت من (أ)، وهو المناسب لسياق الكلام، وجاء نحوه في (ب) فقال: (ولم تقع بغير مشيئتهِ وقُدْرته).

وَقُدْرَتِهِ لِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْأَعْيَانِ وَالْأَوْصَافِ وَالْأَفْعَالِ، كَمَا نَوْمُنُ بِنُصُوصِ  
الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ الْعِبَادَ هُمُ الْفَاعِلُونَ حَقِيقَةً لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ،  
وَأَتَمَّهُمْ مُحْتَازُونَ لِأَفْعَالِهِمْ، فَإِنَّ اللَّهَ خَالِقُ قُدْرَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ؛ وَهُمَا السَّبَبُ فِي  
وَجُودِ أَفْعَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ، وَخَالِقُ السَّبَبِ التَّامِّ خَالِقُ الْمُسَبَّبِ، وَاللَّهُ أَعْظَمُ  
وَأَعْدَلُ مِنْ أَنْ يُجْبِرَهُمْ عَلَيْهَا<sup>(١)</sup>.



(١) كما قال تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ۖ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ

الْعَالَمِينَ﴾.

\* وللشيخ السعدي رحمته الله رسالة نافلة جداً في هذا الباب بعنوان: (الدُّرَّةُ الْبَهِيَّةُ)

شرح فيها منظومة شيخ الإسلام ابن تيمية التائية في القدر.

## السؤال الحادي عشر

ما هو الشرك؟ وما أقسامه؟

الجواب: الشرك نوعان<sup>(١)</sup>:

\* شرك في الربوبية: وهو أن يعتقد العبد أن الله شريكاً في خلق بعض المخلوقات، أو تدبيرها.

\* النوع الثاني الشرك في العبادة: وهو قسمان: شرك أكبر، وشرك أصغر، فالشرك الأكبر: أن يصرف العبد نوعاً من أنواع العبادة لغير الله؛ كأن يدعو غير الله، أو يرجوه، أو يخافه، فهذا مخرج من الدين، وصاحبه محلّد في النار. وأما الشرك الأصغر: فالوسائل والطرق المفضية إلى الشرك إذا لم تبلغ رتبة العبادة، كالحلف بغير الله، والرياء، ونحو ذلك<sup>(٢)</sup>.

(١) بين المصنف **رحمته** في هذا السؤال أقسام الشرك، وقبل ذلك يحسن التنبيه على معنى الشرك، فالشرك هو: تسوية غير الله بالله في شيء من خصائصه وحقوقه.

\* وخصائصه هي: أفعاله وأسمائه وصفاته من الخلق والرّزق والتدبير وغير ذلك.  
\* وحقّ الله على عباده هي: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، والله **تعالى** أخبرنا عن مقالة المشركين وهم في نار جهنّم: ﴿ تَأْتِيهِمْ فِيهَا الْهَيْبَةُ مِنَ اللَّهِ لِتَذَكِّرَهُمْ لِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ **١٧** إِذْ تُسَوِّىكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿﴾، فالشرك هو تسوية غير الله بالله.

(٢) الأدق في تعريف الشرك الأصغر أن يُقال: كل ما جاء وصفه في النصوص بأنه شرك، ولم يبلغ رتبة الشرك الأكبر.

## السؤال الثاني عشر

ما صِفَةُ الإِيمَانِ بِاللَّهِ عَلَى وَجْهِ التَّفْصِيلِ؟

الجواب: إِنَّا نُقَرُّ وَنَعْتَرِفُ بِقُلُوبِنَا وَأَلْسِنَتِنَا أَنَّ اللَّهَ وَاجِبُ الوجودِ<sup>(١)</sup>، وَاحِدٌ، أَحَدٌ، فَرْدٌ، صَمَدٌ، مُتَفَرِّدٌ بِكُلِّ صِفَةِ كَمَالٍ وَمَجْدٍ وَعَظْمَةٍ وَكِبْرِيَاءٍ وَجَلالٍ، وَأَنَّ لَهُ غَايَةَ الكَمالِ الَّذِي لَا يَقْدِرُ الخَلائِقُ أَنْ يُحِيطُوا بِشَيْءٍ مِنْ صِفَاتِهِ. وَأَنَّهُ الأَوَّلُ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ، وَالآخِرُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ، وَالظَاهِرُ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ، وَالْباطِنُ الَّذِي لَيْسَ دُونَهُ شَيْءٌ، وَأَنَّهُ العَلِيُّ

وَالْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ رسالةً لطيفةً بَيِّنَ فِيهَا الفَرْقَ بَيْنَ الشَّرْكِ الأَكْبَرِ وَالأَصْغَرِ، راجِعِها فِي كِتاب: «جُهودُ الشَّيْخِ السَّعْدِيِّ رَحِمَهُ اللهُ فِي تَوْضِيحِ العَقِيدَةِ» (ص ١٨٧).  
١) قَوْلُهُ: (وَاجِبُ الوجودِ): هَذِهِ العِبارةُ لَمْ تَرُدْ فِي الكِتابِ وَالسَّنَةِ، وَإِنَّمَا اسْتَعْمَلَهَا أَهْلُ الكِلامِ لِيتَوَصَّلُوا مِنْ خِلالِها لِنَفْيِ الصِّفَاتِ، وَقَدْ يُطَلِّقُها أَهْلُ السَّنَةِ عَلَى اللَّهِ ﷻ مِنْ بابِ الإِخبارِ، لِاسْمِها عِنْدَ مَنَاطِرَةٍ مَنْ يَسْتَعْمِدُ هَذِهِ العِبارةَ، وَالمرادُ بِها: وَجُودُهُ ﷻ بِنَفْسِهِ، وَاسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ كُلِّ مَوْجُودٍ.

لَكِنِ الأَوَّلَى عِنْدَ تَقْرِيرِ اعْتِقادِ أَهْلِ السَّنَةِ وَالجماعةِ أَنْ يُقْتَصَرَ عَلَى الأَلْفاظِ الوارِدَةِ فِي الكِتابِ وَالسَّنَةِ كَمَا صَنَعَ ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتابِهِ «العَقيدةُ الواسِطيةُ»؛ فَإِنَّهُ كِتابٌ لَا عِلاقةَ لَهُ بِالْمَنَاطِرَاتِ، وَلِهذا التَّرَمُّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتابِهِ التَّقْيِيدَ بِأَلْفاظِ الكِتابِ وَالسَّنَةِ، وَكِذا يُقالُ فِي هَذِهِ الرِّسالةِ، فَإِنَّ المَقامَ مَقامَ تَقْرِيرِ المَعْتَقَدِ، فَالأَوَّلَى عَدَمُ اسْتِعْمالِ هَذِهِ الأَلْفاظِ، وَإِنْ اسْتَعْمِلَتْ فَهِيَ مَحْمُولَةٌ عَلَى المَعْنَى المَعْرُوفِ عِنْدَ أَهْلِ السَّنَةِ كَمَا تَقَدَّمَ.

الأعلى؛ علوُّ الذات، وعلوُّ القَدْرِ، وعلوُّ القهر.

وأنة العَلِيمُ بِكُلِّ شَيْءٍ، القَدِيرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، السَّمِيعُ لَجَمِيعِ الأصوات باختلاف اللغات على تَفْنِينِ الحاجات، البَصِيرُ بِكُلِّ شَيْءٍ، الحَكِيمُ فِي خَلْقِهِ وَشَرَعِهِ، الحَمِيدُ فِي أوصافِهِ وَأفعالِهِ، المَجِيدُ فِي عَظَمَتِهِ وَكِبَرِيائِهِ، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ؛ الَّذِي وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَعَمَّ بِجُودِهِ وَبِرِّهِ وَمَوَاهِبِهِ كُلَّ موجودٍ.

المالِكُ المَلِكُ لَجَمِيعِ المَمالِكِ؛ فَلهُ تَعَالَى صِفَةُ المَلِكِ، وَالعَالَمُ العُلَوِيُّ وَالسُّفْلِيُّ كُلُّهُم مَمالِكٌ وَعَبِيدُ اللهِ، وَلِه التَّصَرُّفُ المَطْلُوقُ.

وهو الحَيُّ الَّذِي لَهُ الحَيَاةُ الكَامِلَةُ المُتَمَتِّنَةُ لَجَمِيعِ أوصافِهِ الذَاتِيَّةِ، القَيُّومُ الَّذِي قَامَ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ.

وهو مُتَّصِفٌ بِجَمِيعِ صِفَاتِ الأَفْعَالِ، فَهُوَ الفَعَّالُ لِمَا يَرِيدُ، فَمَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

وَنَشْهَدُ أَنَّهُ رَبُّنَا الخَالِقُ البَارِئُ المَصَوِّرُ؛ الَّذِي أوجَدَ الكائِناتِ، وَأَتَقَنَ صُنْعَهَا، وَأَحْسَنَ نِظامَهَا.

وأنة اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ؛ الإِلَهُ المَعْبُودُ الَّذِي لا يَسْتَحِقُّ العِبادةَ أَحَدٌ سِوَاهُ، فلا نَخْضَعُ ولا نَذِلُّ ولا نُنِيبُ ولا نَتَوَجَّهُ إِلا اللهُ الواحِدِ القَهَّارِ، العَزِيزِ

الغفَّار، فَإِيَّاهُ نَعْبُدُ، وَإِيَّاهُ نَسْتَعِينُ، وَلَهُ نَرْجُو وَنَخْشَى؛ نَرْجُو رَحْمَتَهُ، وَنَخْشَى عَدْلَهُ وَعَذَابَهُ<sup>(١)</sup>.

لَا رَبَّ لَنَا غَيْرُهُ فَنَسْأَلُهُ وَنَدْعُوهُ، وَلَا إِلَهَ لَنَا سِوَاهُ نُؤَمِّلُهُ وَنَرْجُوهُ، هُوَ مَوْلَانَا فِي إِصْلَاحِ دِينِنَا وَدُنْيَانَا، وَهُوَ نِعَمُ النَّصِيرِ؛ الدَّافِعُ عَنَّا جَمِيعَ السُّوءِ وَالْمَكَارِهِ<sup>(٢)</sup>.

(١) فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ إِنْ عَامَلْنَا بِعَدْلِهِ هَلَكْنَا، لَكِنَّهُ يُعَامَلُ الْمُؤْمِنُ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَيُعَامَلُ الْكَافِرُ بِعَدْلِهِ.

وقال المصنّف رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللهِ ﷻ ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾: (أَي: وَجِلُّونَ، مُشْفِقَةٌ قُلُوبُهُمْ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ، خَوْفًا أَنْ يَضَعَ عَلَيْهِمْ عَدْلَهُ، فَلَا يَبْقَى لَهُمْ حَسَنَةٌ) «تيسير الكريم الرحمن» (٥/٢٥٨)

ويشهد لهذا أيضاً ما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «لَنْ يُدْخَلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ» قالوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قال: «لَا، وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ» [أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب المريض، باب: تمني المرض الموت، رقم: (٥٦٧٣)، ومسلم في «صحيحه» كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، رقم: (٢٨١٦)].

(٢) قال نبيُّنا الأمين ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهُهُ فِي الدِّينِ»، وَمَنْ أَعْظَمَ الْفَقْهَ أَنْ يَتَفَقَّهُ الْإِنْسَانَ فِي مَعْرِفَةِ اللهِ؛ لِأَنَّ الْمَعْرِفَةَ بِاللَّهِ ﷻ هِيَ أَسَاسُ كُلِّ صَلَاحٍ وَفَلَاحٍ وَنَجَاحٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَمَنْ كَانَ بِاللَّهِ أَعْرَفَ كَانَ مِنْهُ أَخْوَفَ، وَلِعِبَادَتِهِ أَطْلَبَ، وَعَنْ مَعْصِيَتِهِ أَبْعَدَ، وَمَا حَصَلَ الْخَلَلُ فِي النَّاسِ وَعِبَادَتِهِمْ إِلَّا مِنْ نَقْصِ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ ﷻ وَبِحَقِّهِ وَعَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ.

## السؤال الثالث عشر

ما صِفَةُ الإِيمَانِ بِالْأَنْبِيَاءِ عَلَى وَجْهِ التَّفْصِيلِ؟

الجوابُ: علينا أن نؤمنَ بجميع الأنبياء والرُّسل الذين ثبتتُ بُبُوَّتُهُمْ ورسالتُهُمْ على وجه الإجمال والتفصيل، ونعتقدُ أنَّ اللهَ تعالى اختصَّهُم بِوَحْيِهِ وإرسالِهِ، وجعلهم وسائطَ بينه وبين خلقه؛ في تبليغِ دينِهِ وشرعه، وأيَّدَهُم بِالآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِهِمْ، وَصَحَّةِ مَا جَاؤُوا بِهِ<sup>(١)</sup>، وَأَتَمَّهُمْ أَكْمَلَ الخَلْقِ علماً وعملاً، وأصدقَهُمْ وأبرَّهُمْ وأكملَهُمْ أخلاقاً وأعمالاً، وَأَنَّ اللهَ خَصَّهُمْ بِفَضَائِلَ لَا يَلْحَقُهُمْ فِيهَا أَحَدٌ، وَبَرَّاهُمْ مِنْ كُلِّ خُلُقٍ رذيلٍ، وَأَتَمَّهُمْ مَعْصُومِينَ فِي كُلِّ مَا يُبَلِّغُونَهُ عَنِ اللهِ، وَأَنَّهُ لَا يَسْتَقِرُّ فِي خَبْرِهِمْ وَتَبْلِيغِهِمْ إِلَّا الْحَقُّ وَالصَّوَابُ.

وَأَنَّهُ يَجِبُ الإِيمَانُ بِهِمْ كُلَّهُمْ، وَبِكُلِّ مَا [أوتوه]<sup>(٢)</sup> مِنَ اللهِ، وَمَحَبَّتُهُمْ، وَتَوْقِيرُهُمْ، وَتَعْظِيمُهُمْ.

(١) كما صحَّ بذلك الحديث عن النبي ﷺ قال: «ما من الأنبياء من نبي إلا وقد أُعطيَ من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليَّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابِعاً يوم القيامة». [أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب: فضائل القرآن، باب:

كيف نزل الوحي، رقم: (٤٩٨١)، ومسلم في «صحيحه» كتاب: الإيمان، رقم: (١٥٢)].

(٢) • في الأصل: (أتوه)، والتصويب من (أ) و (ب).

ونؤمنُ أنَّ هذه الأمورَ واجبةٌ علينا لنبيِّنا محمد ﷺ على أكملِ الوجوهِ وأعلاها، وأنه يجبُ معرفتهُ، ومعرفةُ ما جاء به من الشرعِ جملةً وتفصيلاً؛ بحسبِ الاستطاعة، والإيمانُ بذلك والتزامُهُ، والتزامُ طاعتهِ في كلِّ شيءٍ؛ بتصديقِ خبره، وامثالِ أمره، واجتنابِ نهيه<sup>(١)</sup>.

وأنه خاتمُ النبيين؛ لا نبيَّ بعده، قد نسختْ شريعتهُ جميعَ الشرائعِ<sup>(٢)</sup>، وهي باقيةٌ إلى قيامِ الساعةِ، ولا يتمُّ الإيمانُ به حتى يعلمَ العبدُ أنَّ جميعَ ما جاء به حقٌّ، وأنه يستحيلُ أن يقومَ دليلٌ عقليٌّ [أو]<sup>(٣)</sup> حسيٌّ أو غيرُهُما على خلافِ ما جاء به، بل العقلُ الصحيحُ والأمورُ الحسيَّةُ الواقعةُ تشهدُ للرسولِ بالصدقِ والحقِّ<sup>(٤)</sup>.

(١) ذَكَرَ المصنِّفُ هنا ثلاثةَ أمورٍ في هذا الباب؛ لا يتحققُ الإيمانُ بالرسول ﷺ إلا بالإتيانِ بها، وهي:

\* طاعته فيما أمر . \* وتصديقه فيما أخبر . \* والانتهاه عما نهى عنه وزجر .

فهذه الأمور الثلاثة هي مُقتضى شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ.

(٢) كما قال الله ﷻ: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب:

٤٠]، فنبؤته حُتِمَت النبوات، وبكتابه حُتِمَت الكتب، وبشريعته حُتِمَت الشرائع، وعيسى عليه السلام عندما ينزل في آخر الزمان سيحكمُ بشريعة النبي ﷺ.

(٣) • في الأصل والنسخ المطبوعة (وحسي)، والمثبت من (أ) و (ب).

(٤) ومما جاء في هذا الباب ما ذكره العلامةُ ابنُ القيم رحمه الله في كتابه «مفتاح دار السعادة»

(١١٧/٢)، وذكره المصنِّف رحمه الله أيضاً في رسالته: «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» (ص

## السؤال الرابع عشر

كَمْ مَرَاتِبُ الْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ؟ وَمَا هِيَ؟

الجواب: مراتبُ ذلك أربعة، لا يَتِمُّ الإِيمَانُ بِالْقَدَرِ إِلَّا بِتَكْمِيلِهَا:

\* الإِيمَانُ بِأَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، وَأَنَّ عِلْمَهُ مُحِيطٌ بِالْحَوَادِثِ دَقِيقِهَا

وَجَلِيلِهَا.

\* وَأَنَّهُ كَتَبَ ذَلِكَ بِاللُّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

\* وَأَنَّ جَمِيعَهَا وَاقِعَةٌ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ؛ مَا [شَاءَ] <sup>(١)</sup> كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ

يَكُنْ <sup>(٢)</sup>.

(٧٦) أَنَّهُ قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ: (بِإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَسُولُ اللَّهِ؟ فَقَالَ: مَا أَمْرٌ بِشَيْءٍ فَقَالَ الْعَقْلُ: لَيْتَهُ نَهَى عَنْهُ، وَلَا نَهَى عَنْ شَيْءٍ فَقَالَ الْعَقْلُ: لَيْتَهُ أَمَرَ بِهِ).

(١) فِي الْأَصْلِ: (يَشَاءُ)، وَالْمُثَبِتُ مِنْ (أ) وَ (ب).

(٢) لَمْ تُذَكَرِ الْمَرْتَبَةُ الرَّابِعَةُ مِنْ مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، فَلَعَلَّهَا سَقَطَتْ مِنْ

النَّاسِخِ أَوْ أَنَّ الشَّيْخَ قَدْ ذَهَلَ عَنْهَا، وَالْمَرْتَبَةُ الرَّابِعَةُ مِنْ مَرَاتِبِ الْقَدَرِ هِيَ: الْخَلْقُ

وَالْإِبْجَادُ، وَدَلِيلُهَا قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢] وَأَيْضًا قَوْلُ

اللَّهِ ﷻ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، وَقَدْ جَمَعَ بَعْضُهُمْ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ

الرَّابِعَةَ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ فَقَالَ:

عَلِمٌ، كِتَابَةٌ مَوْلَانَا، مَشِيئَتُهُ، ... وَخَلْقُهُ؛ وَهُوَ إِبْجَادٌ وَتَكْوِينٌ

وأنه مع ذلك مَكَّنَ العِبَادَ من أفعالهم؛ فيفعلونها اختياراً بمشيئتهم  
وقُدِّرَتهم، كما قال اللهُ تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ  
فِي كِتَابٍ<sup>(١)</sup>﴾، وقال: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ<sup>(٢)</sup>﴾ أَوْ مَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ  
رَبُّ الْعَالَمِينَ<sup>(٢)</sup>﴾.



• تنبيه: جاء في النسخة (أ) ترقيم مراتب القدر الأربع من فوقها، وقد كُتِبَ رقم (٤)  
إشارة للمرتبة الرابعة عند قوله: (وأنه مع ذلك مَكَّنَ العِبَادَ من أفعالهم...)، والله  
أعلم.

(١) سورة الحج، آية رقم: ٧٠.

(٢) سورة التكويد، آية رقم: ٢٨ - ٢٩.

## السؤال الخامس عشر

ما حدّ الإيمان باليوم الآخر؟ وما الذي يدخُل فيه؟

الجواب: كُُلُّ ما جاء في الكتابِ والسنةِ ممّا يكونُ بعدَ الموتِ فإنَّهُ داخلٌ في الإيمانِ باليومِ الآخرِ؛ كأحوالِ القبرِ والبرزخِ، ونعيمِهِ وعذابه، وأحوالِ يومِ القيامةِ، وما فيها من الحسابِ، والثوابِ والعقابِ، والصُّحُفِ، والميزانِ، والشفاعةِ، وأحوالِ الجنةِ والنارِ، وصفاتها وصفاتِ أهلها<sup>(١)</sup>، وما أعدَّ اللهُ فيها لأهلها إجمالاً وتفصيلاً؛ كُُلُّ ذلك من الإيمانِ باليومِ الآخرِ<sup>(٢)</sup>.



(١) • في (أ) و (ب): (وصفتها، وصفة أهلها).

(٢) ذكر المصنف **رحمته الله** فائدةً عظيمةً في كتابه: «فتح الرحيم الملك العلام» (ص ٨٠) تتعلّق بالإيمان

باليوم الآخر فقال: (الإيمان باليوم الآخر على درجتين:

\* أحدهما: التصديقُ الجازم الذي لا ريب فيه بوجود ذلك على حقيقته؛ فهذا لا بدَّ فيه من الإيمان.

\* والدرجة الثانية: التصديقُ الراسخ المُثمر للعمل، فإن من علِمَ ما أعدَّ اللهُ للطائعين من الثواب، وما أعدَّهُ للعاصين من العقابِ علماً واصلّاً إلى القلب فلا بُدَّ أن يُثمرَ له هذا الإيمانُ الجِدَّ في الأعمالِ الموصِلةِ إلى الثواب، والحذر من الأعمالِ الموجبة للعقاب).

## السؤال السادس عشر

ما هو النفاق وأقسامه وصفته؟

الجواب: حَدُّ النِّفَاقِ: إِظْهَارُ الْخَيْرِ وَإِبْطَانُ الشَّرِّ، وَهُوَ قِسْمَانِ:

\* نِفَاقٌ أَكْبَرُ؛ اعْتِقَادِيٌّ، مُخَلَّدٌ صَاحِبُهُ فِي النَّارِ، وَذَلِكَ مِثْلُ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ

بِهِ عَنِ الْمُنَافِقِينَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمْ الْيَوْمَ الْآخِرِ وَمَا هُمْ

بِمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>؛ مِنَ الْمُبْطِنِينَ لِلْكَفْرِ، الْمُظْهِرِينَ لِلْإِسْلَامِ.

\* وَنِفَاقٌ أَصْغَرُ؛ عَمَلِيٌّ، مِثْلُ مَا ذَكَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: « آيَةُ الْمُنَافِقِ

ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ »<sup>(٢)</sup>.

فَالْكَفْرُ الْأَكْبَرُ وَالنِّفَاقُ لَا يَنْفَعُ مَعَهُ إِيمَانٌ وَلَا عَمَلٌ<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة البقرة، آية رقم: ٨.

(٢) أخرجه البخاري في « صحيحه »، كتاب: الإيمان، باب: علامة المنافق،

رقم: (٣٣)، ومسلم في « صحيحه »، كتاب: الإيمان، رقم: (٥٩).

• زاد في (أ) و (ب): (وفي لفظ: « وإذا عاهد غدر »).

(٣) أشار المصنف رحمته الله في هذه الجملة إلى أن الكفر أيضاً ينقسم إلى: كفر أكبر اعتقادي،

مخرج عن الملة، وكفر أصغر عملي، لا يخرج صاحبه من الملة، وهو: ما أطلق عليه في

النصوص بأنه كفر، ولم يبلغ حد الكفر الأكبر، مثل: قوله رحمته الله: « اثنتان في الناس هما

بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت » [أخرجه مسلم في « صحيحه » كتاب:

وأما الأصغرُ منها فقد يجتمعُ مع الإيمان فيكونُ في العبدِ خيرٌ وشرٌّ،  
وأسبابُ ثوابٍ وأسبابُ عقابٍ.



الإيمان، رقم: (٦٧) ]، وقوله ﷺ: « لا ترجعوا بعدي كفارا، يضرب بعضكم رقاب بعض » [أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب: العلم، باب الإنصات للعلماء، رقم: (١٢١)، ومسلم في «صحيحه» كتاب: الإيمان، رقم: (٦٥) ]، ونحو ذلك من الأحاديث.

● وجاءت هذه الجملة في (أ) و (ب) كالآتي: (أ) أما الكفر الأكبر والنفاق الأكبر فلا يجتمع معهما إيمان، قال الله تعالى: ﴿لِيَنْ أَشْرَكَتَ لِيَجْطَنَ عَمَلَكَ﴾ .

## السؤال السابع عشر

ما هي البدعة؟ وما أقسامها؟

الجواب: البدعة هي: خلاف السنة، وهي نوعان:

\* بدعة اعتقاد: وهي اعتقاد خلاف ما أخبر الله به ورسوله، وهي المذكورة في قوله ﷺ: «وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، قالوا: ما هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»<sup>(١)</sup>.

فمن كان على هذا الوصف فهو صاحب سنة مَحْضَةٍ، ومن كان من بَقِيَّةِ الْفِرْقِ فهو مبتدعٌ، «وكُلُّ بدعة ضلالة»<sup>(٢)</sup>، وتتفاوت البدع بحسب بُعْدِهَا عَنِ السَّنَةِ.

---

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع» بهذا اللفظ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، [أبواب: الإيمان، باب: ما جاء في افتراق هذه الأمة، رقم: (٢٦٤١)]، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم: (٢٠٣ - ٢٠٤).

(٢) قطعة من حديث جابر رضي الله عنه [أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، رقم: (٨٦٧)].

\* والنوع الثاني، بدعةٌ عمليةٌ: وهي التَّعَبُّدُ بغيرِ ما شرَعَ اللهُ ورسوله، أو تحريمٌ ما أحلَّ اللهُ ورسوله<sup>(١)</sup>؛ فمن تعبدَ بغيرِ الشرعِ أو حرَّم ما لم يُحرِّمه الشارِعُ فهو مبتدعٌ<sup>(٢)</sup>.

(١) • زاد في (أ) و(ب): (إما أن يتبدع عبادةً من عنده، أو يتصرف في العبادات الشرعية التي شرعت على وجهٍ مخصوص على غير ذلك الوجه، وذلك داخلٌ تحت قوله ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ»، هذا في العبادات، وأما العادات فمن حرَّم منها شيئاً لم يحرمه اللهُ ولا رسوله فهو مبتدع، لأنَّ الأصل فيها الإباحة، كما أن الأصل في العبادات المنعُ إلا ما شرع).

(٢) وفي هذا الباب يقول الإمام مالك بن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (من ابتدَعَ في الإسلام بدعةً يراها حسنةً فقد زعمَ أنَّ محمداً خان الرسالة لأن الله ﷻ يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] فما لم يكن يومئذٍ ديناً، فلا يكون اليومَ ديناً). [انظر «الاعتصام» للشاطبي

(١/٥٧) و(٢/٣٦٨)]

## السؤال الثامن عشر ما حقوق المسلمين عليك؟

الجواب: قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾<sup>(١)</sup>، فالواجب أن تتخذهم إخواناً؛ تُحِبُّهُمْ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وتكره لهم ما تكره لنفسك، وتسعى بحسب مقدورك في مصالحهم، وإصلاح ذات بينهم، وتأليف قلوبهم، واجتماعهم على الحق، «المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يكذبه، ولا يحقره»<sup>(٢)</sup>.  
وتقوم بحق من له حق خاص<sup>(٣)</sup>: كالوالدين، والأقارب، والجيران، والأصحاب، والمعاملين<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الحجرات، آية رقم: ١٠.

(٢) قطعة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه»، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، رقم: (٢٥٦٤)، دون قوله: (ولا يكذبه، ولا يحقره)، وقد ذكر لفظه: (ولا يكذبه) الإمام أحمد في «المسند» برقم: (٧٧٢٧)، ولفظة: (ولا يحقره) خرّجها الترمذي في «الجامع» برقم: (١٩٢٧).

وساق الحديث بهذا التمام الحافظ النووي رحمته الله في كتابه: «الأربعون النووية»، في الحديث السادس والثلاثين، فلعل المصنف اقتبس منه.

(٣) • وردت العبارة في (أ) و(ب) بعد ذلك: (لولادة، أو قرابة، أو جيرة، أو صحبة، أو معاملة، أو إحسان، أو غيرها).

(٤) يتلخص أن الأخوة الإيمانية لها جانبان:

## السؤال التاسع عشر

### ما الواجب نحو أصحاب النبي ﷺ؟

الجواب: من تمام الإيمان برسول الله ﷺ ومحبته محبة أصحابه بحسب مراتبهم من الفضل والسبق، والاعتراف بفضائلهم التي فاقوا فيها جميع الأمة<sup>(١)</sup>.  
وأن تدين الله بحبهم ونشر فضائلهم، وتُمسك عما شجر بينهم<sup>(٢)</sup>،  
وتعتقد أنهم أولى الأمة بكل خصلة حميدة، وأسبقتهم إلى كل خير، وأبعدهم  
من كل شر، وأنهم جميعهم عدول مرضيون.

\* جانب فعلي: كالسعى في مصالحهم، وإصلاح ذات بينهم، وتأليف قلوبهم،  
 واجتماعهم على الحق.

\* وجانب تركي: هو تجنب الأمور التي لا تليق ولا ينبغي أن توجد بين الإخوان،  
 كالتي وردت في الحديث الذي ذكره رحمه الله.

(١) بل فاق الصحابة رضي الله عنهم بفضائلهم جميع الأمم، فإن أمة محمد ﷺ خير الأمم كما قال الله  
 ﷻ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، وبهذا يكون الصحابة أفضل الناس بعد الأنبياء في  
 جميع الأمم، وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين  
 والآخرين إلا النبيين والمرسلين». [أخرجه الترمذي في «جامعه» أبواب المناقب، باب: في مناقب أبي  
 بكر وعمر، رقم: (٣٦٦٦)، وابن ماجه في «سننه» كتاب: الإيمان وفضائل الصحابة، باب: فضل أبي بكر  
 الصديق، رقم: (٩٥)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم: (٨٢٠)].

(٢) فالواجب عدم الخوض فيما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم، إلا في حالة واحدة استثناها  
 العلماء وهي: إذا خاض فيهم أهل الباطل بالظن والوقية والانتقاص، فإنه يجب على  
 أهل الحق أن يخوضوا بالحق؛ ذباً عن الصحابة رضي الله عنهم، ودفاعاً عنهم.

## السؤال العشرون

### ما قولكم في الإمامة؟

الجواب: نعتقد أن نصب الإمام فرض كفاية، فإن الأمة لا تستغني عن إمام يقيم لها دينها ودنياها، ويدفع عنها عادية المعتدين، وإقامة الحدود على الجناة، ولا تتم إمامته إلا بطاعته في المعروف في غير معصية<sup>(١)</sup>.  
والجهد ماضٍ مع البرِّ والفاجر.  
و[أنَّ الأئمة] <sup>(٢)</sup> يُعانونَ على الخير، ويُصَحونَ عن الشرِّ.



(١) ذكر أهل العلم أن أمور هذا الباب مرتبطة بعضها ببعض، فصلاح شؤون المسلمين وانتظام حاجاتهم الدينية والدنيوية لا يكون إلا بجماعة، ولا تكون الجماعة إلا بإمام، ولا إمام إلا بسمع وطاعة، في غير معصية الله ﷻ.

• وجاء بعد هذه العبارة في (أ) و (ب): ( ولا يتم له الأمر الشرعي ولا القدري إلا باستعمال الشورى لأهل الحل والعقد ولأهل الحقوق، وأنه لا يتم ذلك إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبها الشريعة ).

(٢) • زيادة من (أ) و (ب) لتوضيح السياق.

## السؤال الحادي والعشرون

ما هو الصراط المستقيم؟ وما صفته؟

الجواب: الصراط المستقيم هو العلم النافع والعمل الصالح<sup>(١)</sup>، والعلم النافع هو: ما جاء به الرسول من الكتاب والسنة<sup>(٢)</sup>.

والعمل الصالح هو: التقرب إلى الله بالاعتقادات الصحيحة، وأداء الفرائض، والنوافل، واجتناب المنهيات، [وذلك يرجع إلى]<sup>(٣)</sup> القيام بحقوق الله، وحقوق عباده، ولا يتم ذلك إلا بالإخلاص التام لله، والمتابعة لرسول الله ﷺ، والدين يدور على هذين الأصلين؛ فمن فاته الإخلاص وقع في الشرك، ومن فاته المتابعة وقع في البدع<sup>(٤)</sup>.

(١) وفي دعاء المؤمنين في سورة الفاتحة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿١﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٢﴾، فالمُنعم عليهم هم أهل العلم النافع والعمل الصالح، والمغضوب عليهم هم الذين عندهم علم وليس عندهم عمل، والضالون هم الذين عندهم عمل ولكنه بدون علم.

(٢) • زاد في (أ) و (ب): (والاجتهاد في معرفته ذلك، ومعرفة ما يُعين عليه من سائر الفنون والعلوم).

(٣) • في الأصل: (وهو القيام)، والمُثبت من (أ)، وجاء في (ب): (والقيام).

(٤) وفي بيان هذا المعنى يقول إبراهيم بن الأشعث: سمعت الفضيل بن عياض رحمه الله

يقول في قول الله ﷻ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: (أخلصه وأصوبه، فإنه إذا كان خالصاً

ولم يكن صواباً لم يُقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل؛ حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص إذا كان لله، والصواب إذا كان على السنة. [ أخرجه ابن أبي الدنيا في «الإخلاص والنية» (ص ٥٠) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٩٥). ]

• ورد سؤالان في (أ) بعد هذا السؤال، ونحوها في (ب)، ولم يوردهما المصنف رحمته في الأصل، فلعلّه حذفها أخيراً أو أنه ضمّن الجواب عليهما في الأسئلة الأخرى، وسأوردهما هنا للفائدة:

(السؤال الثاني والعشرون: ما مثال الآيات التي تجمع أصول الدين وفروعه، والأمر

بكل خير، والنهي عن كل شر؟

الجواب: لها أمثلة كثيرة، لكن أجمعها قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ

الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿الْمُنْقُونَ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ

بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ

يَعْظُمُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَيَالِ الَّذِينَ

إِحْسَانًا﴾ إلى قوله: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ

فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾.

السؤال الثالث والعشرون: ما هي الأصول الكلية التي اشتمل عليها الدين

الإسلامي؟

الجواب: الدين الإسلامي يدعو إلى كل خيرٍ وصلاح، وينهى عن كل شرٍّ وفساد

وضرر، فيدعو إلى معرفة الله، والتقرب إليه، وشكره، ويدعو إلى النصيحة للخلق،

وينهى عن غشهم، ويدعو إلى الأمر بكل معروفٍ، ويبيح كل طيبٍ، وينهى عن جميع

## السؤال الثاني والعشرون

ما هي الأوصاف التي يتميَّز بها المؤمن عن الكافر والجاحد؟

الجواب: هذا سؤالٌ عظيمٌ<sup>(١)</sup>، بالفرق بين المؤمن وغيره يتميَّز الحقُّ والباطل، وأهل السعادة من أهل الشقاوة<sup>(٢)</sup>.

المنكرات، ويُجرم كلَّ خبيث ضار، ويدعو إلى التآلف والاجتماع، وينهى عن التفرق والتباعد بين المسلمين، ويدعو إلى المشاورة في أمور الدين والدنيا، وينهى عن الفوضى والاستبداد، ويدعو إلى العدل بين الناس كلهم في كلِّ حقٍّ، وينهى عن الظلم في الدماء والأموال والأعراض وجميع الحقوق، ويدعو إلى حُسن الأعمال والأخلاق، وينهى عن سيئها، ويأمر بالبرِّ والصِّلَةِ، وأداء الحقوق، وينهى عن القطيعة وإهمال الواجبات والعقوق.

يحثُّ على الاستعداد للأعداء بالمستطاع بالقوة المعنوية والحسيَّة، والتحصن والتحرُّز من شرورهم بكلِّ وسيلةٍ وطريقٍ بما يناسب الأحوال، يأمر بالدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، يأمر بالمعاملة الحسنة في التجارة والصنائع والحرف وجميع المكاسب، وينهى عن ضدها، يأمر بالحرص على الأمور النافعة مع الاستعانة بالله، والثقة بكفايته، يفرض على العبد تعلم ما يحتاجه ويضطرُّ إليه، [ويندبه إلى الزيادة].

وبالجمله يأمرُ بكلِّ خيرٍ ونفعٍ وحُسن، وينهى عن ضده).

(١) • زاد في (أ): (من أعظم الأسئلة وأهمها).

(٢) • ووجهُ أهمية هذا السؤال أيضاً:

\* فاعلم أَنَّ الْمُؤْمِنَ حَقًّا هُوَ الَّذِي آمَنَ بِاللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ الْوَارِدَةِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى وَجْهِ الْفَهْمِ لَهَا، وَالاعْتِرَافِ بِهَا، وَتَنْزِيهِهِ عَمَّا يَنَافِي ذَلِكَ، فَامْتِلَأْ قَلْبَهُ إِيمَانًا وَعِلْمًا وَيَقِينًا وَطَمَآنِينَةً وَتَعَلُّقًا بِاللَّهِ؛ فَأَنَابَ إِلَى اللَّهِ وَحَدَّهُ وَتَعَبَّدَ لِلَّهِ بِالْعِبَادَاتِ الَّتِي شَرَعَهَا عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مُخْلِصًا لِلَّهِ بِهَا، رَاجِيًا لثَوَابِهِ، خَائِفًا مِنْ عِقَابِهِ، شَاكِرًا لِلَّهِ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَجَوَارِحِهِ عَلَى نِعْمِ اللَّهِ، وَإِحْسَانِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي يَتَقَلَّبُ بِهِ فِي جَمِيعِ السَّاعَاتِ، لَا هِجَابَ بِذِكْرِهِ، لَا يَرَى نِعْمَةً أَعْظَمَ مِنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ، وَلَا كَرَامَةً أَعْظَمَ مِنْهَا، يَهْرَأُ بِلَذَّاتِ الدُّنْيَا الْمَادِيَّةِ إِذَا نُسِبَتْ إِلَى لَذَّةِ الْإِنَابَةِ إِلَى اللَّهِ، وَالْإِقْبَالِ عَلَيْهِ وَحَدَّهُ.

وَمَعَ هَذَا فَقَدْ أَخَذَ نَصِيبًا وَافِرًا مِنْ لَذَّاتِ الْحَيَاةِ، وَتَمَتَّعَ بِهَا لَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَتَمَتَّعُ بِهِ الْجَاهِدُونَ، أَوْ الْغَافِلُونَ، بَلْ تَمَتَّعَ بِهَا عَلَى وَجْهِ الْاسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَى الْقِيَامِ بِحُقُوقِ اللَّهِ، وَحُقُوقِ عِبَادِهِ، وَبِذَلِكَ الْإِحْتِسَابِ وَالرَّجَاءِ تَمَّتْ

\* أَنَّهُ كَلِمًا أَزْدَادَ الْمُسْلِمُ مَعْرِفَةً بِأَوْصَافِ أَهْلِ الْحَقِّ حَرِصَ عَلَى الْعِنَايَةِ بِهَا، وَالتَّمَسُّكِ بِهَا، وَالْمَحَافَظَةِ عَلَيْهَا، وَسُؤَالِ اللَّهِ ﷻ الثَّبَاتِ عَلَيْهَا.

وَكَلِمًا أَزْدَادَ مَعْرِفَةَ بِأَوْصَافِ الْكُفَّارِ الْجَاهِدِينَ حَرِصَ عَلَى الْبَعْدِ عَنْهَا، وَتَجَنُّبِهَا وَسُؤَالِ اللَّهِ ﷻ أَنْ يَعِيذَهُ مِنْهَا.

\* وَأَيْضًا فِيهِ تَذْكَيرٌ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ أَنْ هِدَاةً لِلْإِيمَانِ، وَلَا أَوْصَافَهُ الْعَظِيمَةَ، وَأَخْلَاقَهُ الْكَرِيمَةَ، وَأَدَابَهُ الرَّفِيعَةَ، وَمَعَامَلَاتِهِ الْعَالِيَةَ، وَأَعَاذَهُ مِنَ الْكُفْرِ بِمَا فِيهِ مِنْ بَاطِلٍ، وَرِعُونَاتٍ، وَفَسَادٍ عَرِيضٍ.

بها لذائذُه، واستراح قلبُه واطمأنَّ، ولم يحزن إذا جاءتُه الأمورُ على خلافِ ما يُحِبُّ، فهذا قد جمع اللهُ له بين سعادةِ الدنيا والآخرة.

أمَّا الجاحِدُ والغافلُ فهو على خلاف ذلك، قد جحد ربَّه العظيم؛ الذي قامت البراهينُ العقلية والنقلية والعلومُ الضرورية والحسية على وجودِه وكمالِه؛ فلم يعبأ بذلك كُلِّه، فلما انقطع عن الله اعترافاً وتعبداً تعلق بالطبيعة فعبدها، وصار قلبُه شبيهاً بقلوبِ البهائمِ السائمة<sup>(١)</sup>.

ليس له همّة إلا التمتعُ بالأموالِ المادية، وقلبه دائماً غير مُطمئن، بل خائفٌ من فواتِ محبوباته، وخائفٌ من حصولِ المكاره التي تتابُه، وليس معه من الإيمان ما يُسهّل عليه المصيبات، وما يُخففُ عنه النكبات، قد حرم لذة الإيمان، وحلاوة التقربِ إلى الله، وثمراتِ الإيمانِ العاجلة والآجلة. لا يرجو ثواباً، ولا يخشى عقاباً، وإنما خوفُه ورجاؤه متعلقٌ بمطالبِ النفوسِ الدنيوية الخسيسة المادية.

**\* ومن أوصافِ المؤمن: التواضعُ للحقِّ وللخلق، والنصيحةُ لعبادِ الله على اختلافِ مراتبهم، قولاً وفعلاً ونيةً.**

(١) بل في حالٍ أضلُّ وأسوأ من حالِ بهيمة الأنعام كما قال ﷺ: ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾

﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]، وإن أوتوا ذكاءً وعلوماً فهي في حدود الدنيا،

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾ [الروم: ٧].

والجاحِدُ وصفُهُ: التَّكْبُرُ عَلَى الْحَقِّ وَعَلَى الْخَلْقِ، وَالْإِعْجَابُ بِالنَّفْسِ، لَا يَدِينُ بِالنَّصِيحَةِ لِأَحَدٍ<sup>(١)</sup>.

\* الْمُؤْمِنُ سَلِيمُ الْقَلْبِ مِنَ الْعِشِّ وَالْغِلِّ وَالْحِقْدِ، يُحِبُّ لِلْمُسْلِمِينَ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَيَكْرَهُ لَهُمْ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ، وَيَسْعَى بِحَسَبِ وَسْعِهِ فِي مَصَالِحِهِمْ، وَيَتَحَمَّلُ أذى الْخَلْقِ، وَلَا يَظْلِمُهُمْ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ.

(١) وَأَمَّا مَا يَقَعُ عِنْدَ بَعْضِ الْكُفَّارِ مِنْ تَعَامُلَاتٍ حَسَنَةٍ؛ كَالصِّدْقِ فِي الْحَدِيثِ، أَوْ الْوَفَاءِ بِالْأَمَانَاتِ، أَوْ الْإِتِّزَامِ بِالْوَعُودِ، أَوْ نَحْوِهِ، فَهَذِهِ كُلُّهَا لَا تَنْفَعُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ، لِأَنَّ الْأَسَاسَ الَّذِي يَقُومُ عَلَيْهِ قَبُولُ الْعَمَلِ مَفْقُودٌ عِنْدَهُمْ إِذْ لَمْ يَفْعَلُوها قُرْبَةً لِلَّهِ وَلَا لَطَلْبَ شَيْءٍ يَوْمَ لِقَائِهِ كَمَا قَالَ ﷺ: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥] وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنْهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٥٤]، فَالْإِنْفَاقُ شَيْءٌ طَيِّبٌ، وَعَمَلٌ حَسَنٌ، لَكِنْ لَا يَقْبَلُهُ اللَّهُ ﷻ لِإِمَّا أَتَّصَفُوا فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ.

وَمِنْ ذَلِكَ مَا جَاءَ عَنِ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا سَأَلَتْ النَّبِيَّ ﷺ قَالَتْ: عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمَسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: «لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ». [أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» كِتَابَ الْإِيمَانِ، رَقْمٌ: (٢١٤)].

وَمِثْلُهُ مَا جَاءَ أَنَّ عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ أَبِي كَانَ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ، وَيَفْعَلُ كَذَا - يَعْنِي: هَلْ يَنْفَعُهُ ذَلِكَ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ أَبَاكَ أَرَادَ شَيْئًا فَأَدْرِكْهُ» [أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» رَقْمٌ: (١٩٣٧٤) وَحَسَنَةُ الْأَبْيَانِي فِي «جَلْبَابِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ» رَقْمٌ: (١٨٢)].

والجاحِدُ قلبُهُ يغلي بالغُلِّ والحِقْدِ، ولا يُريدُ لأحدٍ خيراً ولا نفعاً إلا إذا كان له في ذلك غرضٌ دُنْيَوِيٌّ، ولا يُبالي بظلم الخلقِ عند قُدْرَتِهِ، وهو أضعفُ شيءٍ عن تحمُّلِ ما يُصيبُهُ منهم.

\* المؤمن صدوق اللسان، حسنُ المعاملة، وَصْفُهُ الحِلْمُ، والوَقَارُ، والسَّكِينَةُ، والرَّحْمَةُ، والصَّبْرُ، والوفاء، وسُهولةُ الجانبِ، ولينُ العَرِيكَةِ<sup>(١)</sup>.  
والجاحِدُ وَصْفُهُ الطَّيِّبُ، والقَسْوَةُ، والجَزَعُ، والهَلَعُ، والكذبُ، وعدمُ الوفاء، وشراسةُ الأخلاقِ.

\* المؤمنُ لا يذُلُّ إلا لله، قد صانَ قلبَهُ ووجْهَهُ عن بَدَلِهِ وتَدَلُّهِ لغيرِ ربِّهِ، وَصْفُهُ العِفَّةُ، والشجاعةُ، والسخاءُ، والمُرُوَّةُ، لا يَخْتَارُ إلا كَلَّ طَيِّبٍ<sup>(٢)</sup>.  
أَمَّا الجاحِدُ فعلى الصَّدِّ من ذلك، قد تعلقَ قلبُهُ بالمخلوقين خوفاً من ضَرَرِهِم، ورجاءٍ لِنَفْعِهِم، وبَدَلِ لهم ماءً وجهه، وليس له عِفَّةٌ، ولا قوَّةٌ، ولا شجاعةٌ إلا في أغراضِهِ السُّفْلِيَّةِ، عادمُ المُرُوَّةِ والإنسانيَّةِ، لا يُبالي بما حَصَلَ له من طَيِّبٍ أو خَبِيثٍ.

(١) قال الفيروز آبادي رَحِمَهُ اللهُ: (رَجُلٌ لَيِّنُ العَرِيكَةِ: سَلِسُ الخَلْقِ). « القاموس » (٩٤٨).

(٢) هذه الصِّفَاتُ والأخلاقُ العظيمةُ التي ذكرها الشيخ رَحِمَهُ اللهُ هي ثمرةُ أمرين عظيمين:

\* الأول هو: العلم بالله وبأسماؤه وصفاته.

\* والثاني: قوة التوكل والثقة والالتجاء إلى الله تَعَالَى.

\* المؤمنُ قد جمعَ بين السعي في فعلِ الأسبابِ النافِعَةِ، والتوكُّلِ على الله والثقة به، وطلبِ العونِ منه في كُلِّ الأمورِ، والله تعالى في عونِهِ<sup>(١)</sup>.

وأما الجاحدُ فليس عنده من التَّوَكُّلِ خبرٌ، وليس له نظرٌ إلا إلى نفسهِ الضعيفةِ المهينةِ، قد ولَّاه اللهُ ما تَوَلَّى لِنَفْسِهِ، وخَذَلَهُ عن إِعَانَتِهِ على مطالبِهِ، فإن قَدَّرَ له ما يُحِبُّ كان استدراجاً.

\* المؤمنُ إذا أَتَتْهُ النِّعْمُ تَلَقَّاهَا بالشكرِ، وصرَفها فيما يَنْفَعُهُ، ويعودُ عليه بالخيرِ.

وغير المؤمنِ يتلقَّاهَا بِأَشْرٍ وبَطَرٍ، واشتغالٍ بالنِّعْمَةِ عن المُنْعِمِ وعن شُكْرِهِ، ويصرِفُها في أغراضِهِ السُّفْلِيَّةِ، وهي معَ هذا سريعُ زوالها، قريبُ انفصالها.

\* المؤمنُ إذا أَصَابَتْهُ المصائبُ قابلها بالصبرِ والاحتسابِ، وارتقابِ الأجرِ والثوابِ، والطَّمَعِ في زوالها؛ فيكونُ ما عَوَّضَ من الخيرِ والثوابِ<sup>(٢)</sup> أعظمَ ممَّا فَاتَهُ من محبوبٍ، أو حَصَلَ له من مكروهٍ<sup>(٣)</sup>.

(١) • زاد في (أ) بعد هذه الجملة قول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.

(٢) • زاد في (أ) بعده: (والطمأنينة، وسكون القلب).

(٣) وفي هذا المعنى ورد قول أبي ظبيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كنا نعرض المصاحف عند علقمة ابن

قيس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فمرَّتْ هذه الآية ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَجِدْ لَهُ سُبُلًا مَخْرُجًا﴾

وَالجَاحِدُ يَتَلَقَّهَا بِهَلَعٍ وَجَزَعٍ، فَتَزْدَادُ مُصِيبَتُهُ، وَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ أَلَمُ الظَّاهِرِ وَأَلَمُ الْقَلْبِ، قَدْ عُدِمَ الصَّبْرُ، وَلَيْسَ لَهُ رَجَاءٌ فِي الْأَجْرِ، فَمَا أَشَدَّ حَسْرَتَهُ<sup>(١)</sup>، وَأَعْظَمَ [حُزْنَهُ]<sup>(٢)</sup>.

\* الْمُؤْمِنُ يَدِينُ اللَّهَ بِالْإِيمَانِ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ وَتَعْظِيمِهِمْ، وَتَقْدِيمِ مَحَبَّتِهِمْ عَلَى مَحَبَّةِ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ، وَيَعْتَرِفُ أَنَّ كُلَّ خَيْرٍ [فِيهِ الْخَلْقُ]<sup>(٣)</sup> إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَعَلَى أَيْدِيهِمْ وَيُارْشَدُهُمْ، وَكُلَّ شَرٍّ وَضَرَرٍ يَنَالُ الْخَلْقَ فَسَبَبُهُ مُحَالَفَتُهُمْ، فَهُمْ أَعْظَمُ الْخَلْقِ إِحْسَانًا إِلَى الْخَلْقِ، وَخُصُوصًا إِمَامَهُمْ وَخَاتَمَهُمْ مُحَمَّدًا ﷺ، الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ، وَبَعَثَهُ [بِكُلِّ]<sup>(٤)</sup> صِلَاحٍ وَإِصْلَاحٍ وَهِدَايَةٍ.

وَأَمَّا الْمُلْحِدُونَ فَبُضِدُّ ذَلِكَ، يُعْظَمُونَ أَعْدَاءَ الرُّسُلِ، وَيَحْتَرِمُونَ أَقْوَاهُمْ، وَيَهْزَوْنَ - كَأَسْلَافِهِمْ - بِمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَذَلِكَ أَكْبَرُ دَلِيلٍ عَلَى سَخَافَةِ عَقُولِهِمْ، وَهُبُوطِ أَخْلَاقِهِمْ إِلَى أَسْفَلِ سَافِلِينَ.

[التغابن: ١١]، قَالَ: فَسَأَلْنَاهُ عَنْهَا، فَقَالَ: هُوَ الرَّجُلُ تَصِيْبُهُ الْمَصِيبَةُ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَيَرْضَى وَيَسْلَمُ. [أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعْبِ الْإِيمَانِ» (١٩٦/٧)].

(١) • زَادَ فِي (أ): (حَسْرَتُهُ الْحَاضِرَةُ وَالْمُنْتَظَرَةُ).

(٢) • فِي الْأَصْلِ: (حَرَبَتُهُ)، وَالْمُثْبِتُ مِنْ (أ).

(٣) • فِي الْأَصْلِ: (كُلَّ خَيْرٍ مِنْهُ لِّلْخَلْقِ)، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (أ)، وَجَاءَ فِي طَبْعَةِ دَارِ الْمِيَانِ: (يَنَالُ الْخَلْقَ).

(٤) • فِي الْأَصْلِ: (لِكُلِّ)، وَالْمُثْبِتُ مِنْ (أ).

\* المؤمن يدينُ اللهَ بِمَحَبَّةِ الصَّحَابَةِ وَأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَأُمَّةِ الْهُدَى<sup>(١)</sup>.

والمَلْحَدُ بالعكس<sup>(٢)</sup>.

\* المؤمنُ لِكَمَالِ إِخْلَاصِهِ لِلَّهِ يَعْمَلُ لِلَّهِ، وَيُحْسِنُ إِلَى عِبَادِ اللَّهِ<sup>(٣)</sup>.

وَالجَاهِدُ لَيْسَ لِعَمَلِهِ غَايَةً إِلَّا تَحْصِيلُ أَغْرَاضِهِ الْخَاسِيَةِ<sup>(٤)</sup>.

\* الْمُؤْمِنُ مَنْشَرُحُ الصَّدْرِ بِالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْإِيمَانِ الصَّحِيحِ، وَالْإِقْبَالِ عَلَى اللَّهِ، وَاللَّهْجِ بِذِكْرِهِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْخَلْقِ، وَسَلَامَةِ الصَّدْرِ مِنَ الْأَوْصَافِ

(١) • زاد في (أ): (وَكُلُّ مَنْ لَهُ مَقَامٌ عَالٍ فِي الْإِسْلَامِ).

(٢) • زاد في (أ): (وَالْمَلْحَدُ قَدْ زَهَدَ كُلُّ الزَّهْدِ فِي هَدْيِ الْقُرُونِ الْفَاضِلَةِ؛ الَّذِينَ سَبَقُوا النَّاسَ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ، وَاعْتَاظَ عَنْ ذَلِكَ الْإِقْتِدَاءَ بِكُلِّ زَنْدِيقٍ وَمَارِقٍ وَضَالٍّ، وَرَبِمَا وَصَلَ بِهِ الْحَالُ إِلَى التَّحْذِيرِ مِنْ أُمَّةِ الْهُدَى، وَمَصَابِيحِ الدُّجَى، وَذَلِكَ مِيرَاثٌ مِنْ مَوَارِيثِ أَعْدَاءِ الرَّسْلِ مَعَ الرَّسْلِ ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾).

(٣) • زاد في (أ) بعدّه: (وَلَا يُبَالِي بِلَوْمِ اللَّائِمِينَ، وَلَا يَفْتِنُهُ عَنْ ذَلِكَ عَدَمُ شُكْرِ الَّذِينَ يُحْسِنُ إِلَيْهِمْ، وَلِسَانُ حَالِهِ يَقُولُ: إِنَّمَا نَعْمَلُ وَنُحْسِنُ لَوْجِهَ اللَّهِ، لَا نُرِيدُ مِنْ أَحَدٍ جِزَاءً وَلَا شُكُورًا، يَعْمَلُ بِذَلِكَ مَطْمَئِنًّا وَاثِقًا بِوَعْدِ اللَّهِ).

(٤) • زاد في (أ) بعدّه: (فَلِذَلِكَ تَعْتَرِضُهُ الْعَوَارِضُ الْمُنْتَوِعَةُ وَلَيْسَ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ كُلِّ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ، وَلَا لَهُ أَمَلٌ وَلَا رَجَاءٌ يَرْجُوهُ، وَلَا بَرَكَةٌ فِي عَمَلِهِ، وَلَا خَيْرٌ فِيهِ بَوَاجِهِ).

الذميمة<sup>(١)</sup>.

والجاحِدُ الغافلُ [بِضِدِّ] <sup>(٢)</sup> ذلك؛ لِفَقْدِهِ الأسبابَ الموجبةَ لِانْشِرَاحِ الصدرِ.

**فإذا قيل:** إذا كان الإيمانُ الصحيحُ كما وصفتَ، مع اختِصارِكَ

واقْتِصارِكَ، وأنَّ به السَّعادةَ العاجِلةَ والآجِلةَ، وأنَّه يُصلِحُ الظاهرَ والباطِنَ،  
والعقائدَ والأخلاقَ والآدابَ، وأنَّه يدعو البشرَ كُلَّهُم إلى كُلِّ خيرٍ وصلاحٍ،  
ويهدي للتي هي أقومُ، فإذا كان الأمرُ كما ذكرتَ؛ فَلِمَ كان أكثرُ البشرِ عن  
الدِّينِ والإيمانِ مُعرضينَ، وله مُحارِبينَ، ومنه ساخِرينَ؟! وهَلَّا كان الأمرُ  
بالعكسِ؛ لأنَّ الناسَ لهم عُقولٌ وأذهانٌ تختارُ الصالحَ على الفاسِدِ، والخيرَ  
على الشرِّ، والنافعَ على الضارِّ؟

**فالجوابُ:** أن هذا الإيرادَ قد ذكرَهُ اللهُ في كتابِهِ وأجابَ عنه بِذِكْرِ  
الأسبابِ الواقِعَةِ المانِعَةِ، وبالموانِعِ العائِقةِ، وبِذِكْرِ الأجوِبَةِ عن هذا الإيرادِ  
لا يهول العبد ما يراه من إعراضِ أكثرِ البشرِ عنه، ولا يَسْتَعْرَبُ ذلكَ.

(١) ومَّا يَدُلُّ على أنَّ هذه المذكورات من أسباب السعادة وانشراح الصدر قولُ الله ﷻ:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

(٢) • في الأصل: (ضد)، والمثبت من (أ)، وعند نهاية هذه الجملة انتهى القدر المتوفر من المخطوط، وبقية الرسالة من الأصل والنسخ المطبوعة الأخرى.

فأقول: قد ذكرَ اللهُ لِعَدَمِ الإِيْمَانِ بِالدِّينِ الإِسْلَامِيِّ مَوَاعِدَ عَدِيدَةً وَأَقِعَةً مِنْ جُمْهُورِ البَشَرِ، مِنْهَا:

\* الجَهْلُ بِهِ، وَعَدَمُ مَعْرِفَتِهِ حَقِيقَةً، وَعَدَمُ الوَقُوفِ عَلَى تَعَالِيمِهِ العَالِيَةِ، وَإِرْشَادَاتِهِ السَّامِيَةِ.

وَالجَهْلُ بِالعُلُومِ النَّافِعَةِ أَكْبَرُ عَائِقٍ، وَأَعْظَمُ مَانِعٍ مِنَ الوُصُولِ إِلَى الحَقَائِقِ الصَّحِيحَةِ، وَالأَخْلَاقِ الجَمِيلَةِ.

قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾<sup>(١)</sup>، فَأخْبَرَنَا أَنَّ تَكْذِيبَهُمْ صَادِرٌ عَنِ جَهْلِهِمْ، وَعَدَمِ إِحْاطَتِهِمْ بِعِلْمِهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ الَّذِي هُوَ وَقُوعُ العَذَابِ الَّذِي يُوجِبُ لِلْعَبْدِ الرُّجُوعَ إِلَى الحَقِّ وَالاعْتِرَافَ بِهِ.

ويقول تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿مُمْ بِكُمْ عَمَىٰ فَهْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، ﴿إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٥)</sup>، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ النُّصُوصِ الدَّالَّةِ عَلَى هَذَا المَعْنَى.

(١) سورة يونس، آية رقم: ٣٩.

(٢) سورة الأنعام، آية رقم: ١١١.

(٣) سورة الأعراف، آية رقم: ١٣١.

(٤) سورة البقرة، آية رقم: ١٧١.

(٥) سورة النمل، آية رقم: ٥٢.

والجهلُ إمَّا أن يكونَ بسيطاً؛ كحالِ كثيرٍ من دَهماءِ المُكذِّبينَ للرسول، الرّادِّينَ لدعوتهِ أتباعاً لرؤسائهم وساداتهم، وهم الذين يقولون إذا مسَّهم العذابُ: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾<sup>(١)</sup>.

وإمَّا أن يكونَ الجهلُ مُرَكَّباً، وهذا على نوعين:

أحدهما: أن يكونَ على دينِ قومه وآبائه ومَن هو ناشئٌ معهم، فيأتيه الحقُّ فلا ينظرُ فيه، وإن نظرَ فنظرٌ قاصرٌ جدًّا، لِرِضاةِ بدينه الذي نشأ عليه، وتعصُّبه لقومه، وهؤلاء جمهورُ المكذِّبينَ للرسول، الرّادِّينَ لدعوتهم، الذين قال الله فيهم: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا

ءِآبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وهذا هو التقليدُ الأعمى الذي يظنُّ صاحبه أنه على حقٍّ وهو على الباطل، ويدخلُ في هذا النوعِ أكثرُ المُلحدِّينَ الماديِّينَ، فإنَّ علومهم عند التحقيقِ تقليدٌ لُرُعمائهم؛ إذا قالوا مقالةً قبلوها كأنَّها وحيٌّ مُنزلٌ، وإذا ابتكروا نظريَّةً خاطئةً سلكوا خلفهم في حالِ اتِّفاقهم وحالِ تناقضهم، وهؤلاءِ فتنةٌ لكلِّ مفتونٍ لا بصيرةَ له<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الأحزاب، آية رقم: ٦٧.

(٢) سورة الزخرف، آية رقم: ٢٣.

(٣) وينطبقُ هذا أيضاً على أصحاب البدع، فإنك تجدُ بعضهم قد تتَّضح له السنة ويبيِّنُ له الحق فيردُّه، ولا يترك الباطلَ والبدعةَ التي هو عليها وما ذاك إلا لأنه لا يريد أن يخالف ما وجد عليه الآباء والأجداد.

النوع الثاني من الجهل المركب: حالة أئمة الكفر، وزُعماء الملحدين، الذين مَهَرُوا في علوم الطبيعة والكون، واستَجْهَلُوا غيرَهُمْ، وحَصَرُوا المعلومات في معارفهم الضئيلة ضيقة الدائرة، واستكبروا على الرسلِ وأتباعِهِمْ، وزعموا أنَّ العلومَ محصورةٌ فيما وصلت إليه الحواسُّ الإنسانية، والتجاربُ البشرية، وما سوى ذلك أنكروه وكذبوه، مهما كان من الحقِّ؛ فأنكروا ربَّ العالمين، وكذبوا رسلَهُ، وكذبوا بما أخبرَ اللهُ به ورسولُهُ من أمورِ الغيب كلِّها، وهؤلاءِ أحقُّ الناسِ بالدخولِ تحت قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾<sup>(١)</sup>، ففرَّحهم بعُلومهم علومِ الطبيعة ومهارتهم فيها هو السببُ الأقوى الذي أوجبَ لهم تمسُّكهم بما معهم من الباطلِ، وفرَّحهم بها يقتضي تفضيلهم لها، ومدحهم لها، وتقديمها على ما جاءت به الرسلُ من الهدى والعلم، بل لم يكفهم هذه الحال حتى وصلوا إلى الاستهزاء بعُلوم الرسلِ واستهجانها، وسيحقيقُ بهم ما كانوا به يستهزؤون.

ولقد انخدع هؤلاء الملحدين كثيرٌ من المُشْتَغِلين بالعلومِ العصريَّة التي لم يصحبها دينٌ صحيحٌ، والعُهْدَةُ في ذلك على المدارسِ التي لم تهتمَّ بالتعاليمِ الدينيَّةِ العاصِمَةِ من هذا الإلحاد، فإنَّ التلميذَ إذا خرجَ منها لم يمهر

(١) سورة غافر، آية رقم: ٨٣.

في العلوم الدينية، ولا تخلق بالأخلاق، ورأى نفسه أنه يعرف ما لا يعرفه غيره، فاحتقر الدين وأهله، وسهل عليه الانقياد لهؤلاء الملحدين الماديين، وهذا أكبر ضرر ضرب به الدين الإسلامي.

فالواجب قبل كل شيء على المسلمين نحو المدارس أن يكون اهتمامهم بتعليم العلوم الدينية قبل كل شيء، وأن يكون النجاح وعدمه متعلقاً بها لا غيرها، بل يجعل غيرها تبعاً، وهذا من أضر الفرائض على من يتولأها ويأشر تدبيرها، وعلى الأساتذة المعلمين فيها، ومستقبل الشبيبة متوقف على هذا الأمر، فليتيق الله من له ولاية أو كلام عليها، وليحتسب الأجر العظيم عند الله في جعل الدين أهم العلوم المدرسية، فإن الخطر كبير مع الإهمال، والصالح والخير مضمون مع العناية في علوم الدين.

\* ومن موانع الدين والإيمان: الحسد والبغي، كحال اليهود الذين يعرفون النبي ﷺ، وصدقته، وحقيقته ما جاء به، كما يعرفون أبناءهم، ويكتمون الحق وهم يعلمون؛ تقديماً للأغراض الدنيوية، والمطالب السفلية على الإيمان.

وقد منع هذا الداء كثيراً من رؤساء قريش كما هو معروف من أخبارهم

وسيرهم، وهذا الداء ناشئ عن الكبر الذي هو أعظم الموانع من اتباع الحق<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾<sup>(٢)</sup>،

فالتكبر الذي هو ردُّ الحقِّ واحتقارُ الخلقِ مَنَعَ خلقاً كثيراً من اتباع الحقِّ

والانقياد له بعدما ظهرت آياته وبراهينه، قال تعالى: ﴿وَحَدِّثُوا بِهَا وَأَسْتَقِنْتَهَا

أَنفُسَهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

\* ومن موانع الإيمان: الإعراض عن الأدلة السمعية والأدلة العقلية

الصحيحة<sup>(٤)</sup>، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ

(١) ومن هذا الباب ما ذكره الله ﷻ عن نبيه موسى ﷺ حين قال لفرعون - بعد أن أراه

من الآيات العظيمة، والبراهين الواضحة-: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ يعني في قرارة نفسك ﴿مَا أَنْزَلْ

هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفْرَعُونَ مُشْبِوًّا﴾ [الإسراء: ١٠٢]،

ولم يمنعه من قبول الحق إلا الكبر قال تعالى ﴿وَحَدِّثُوا بِهَا وَأَسْتَقِنْتَهَا أَنفُسَهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا

فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>ع</sup>

(٢) سورة الأعراف، آية رقم: ١٤٦.

(٣) سورة النمل، آية رقم: ١٤.

(٤) ولم يقصروا هذا الإعراض على أنفسهم، بل كانوا يتواصون بعدم سماع القرآن

ويتواطؤون على ذلك كما قال الله ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالنَّوْافِيَةَ لَعَلَّكُمْ

تَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿١﴾، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ ﴿٢﴾، فلم يكن لأمثال هؤلاء الذين اعترفوا بعدم عقلهم وسمعهم النافع رغبةً في علوم الرُّسل والكتب المنزلة من الله، ولا عقولٌ صحيحةً يهتدون بها إلى الصواب، وإنما لهم آراءٌ ونظرياتٌ خاطئةٌ يظنونها عقليات، وهي جهالات، ولهم اقتداءٌ خلفَ زعماء الضلال منعهم من اتباع الحق حتى وردوا نار جهنم، فبئس مثوى المتكبرين.

\* ومن موانع اتباع الحق: رده بعدما تبين؛ فيعاقب العبد بانقلاب قلبه، ورؤيته الحسن قبيحاً، والقبيح حسناً، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ ﴿٣﴾، ﴿وَنَقَلِبْ أَعْيُنَهُمْ وَابْصُرْهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أُولَٰئِكَ مَرَّةٌ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ﴿٤﴾، وهذا لأن الجزاء من جنس العمل، وقد ولّاهم الله ما تولّوا لأنفسهم: ﴿إِنَّهُمْ أَخَذُوا الشَّيْطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ ﴿٥﴾.

(١) سورة الزخرف، آية رقم: ٣٦-٣٧.

(٢) سورة الملك، آية رقم: ١٠.

(٣) سورة الصف، آية رقم: ٥.

(٤) سورة الأنعام، آية رقم: ١١٠.

(٥) سورة الأعراف، آية رقم: ٣٠.

\* ومن الموانع: الانغماس في الترف، والإسراف في التمتع؛ فإنه يجعل العبد تابعاً لهواه، مُنقاداً للشهوات الضارة، كما ذكر الله هذا المانع في عدة آيات، مثل قوله: ﴿بَلْ مَنَعْنَا هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، فلما جاءتهم الأديان الصحيحة بما يعدل ترفهم، ويوقفهم على الحد النافع، ويمنعهم من الانهالك الضار في اللذات: رأوا ذلك صاداً لهم عن مؤاداتهم، وصاحب الهوى الباطل ينصُرُ هواه بكل وسيلة.

لَمَّا جَاءَهُمُ الدِّينُ بِوَجوبِ عِبَادَةِ اللَّهِ، وَشَكَرِ الْمَنعِ عَلَى نَعْمِهِ، وَعَدَمِ الْإِنهَاكِ فِي الشَّهَوَاتِ وَلَوْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا.

\* ومن الموانع: احتقار المكذبين للرسول وأتباعهم، واعتقاد نقصهم، والتهمك بهم، كما قال قوم نوح: ﴿أَنزَمْنَا لَكَ وَأَتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿وَمَا زَيْنَاكَ أَتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِأَدْيِ الرَّأْيِ وَمَا زَيْنَا لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾<sup>(٤)</sup>، وهذا منشؤه من الكبر، فإذا تكبر وتعاظم في نفسه، واحتقر

(١) سورة الأنبياء، آية رقم: ٤٤.

(٢) سورة الواقعة، آية رقم: ٤٥.

(٣) سورة الشعراء، آية رقم: ١١١.

(٤) سورة هود، آية رقم: ٢٧.

غيره، اشمأز من قبول ما جاء به من الحق، حتى لو فرض أن هذا الذي رده جاءه من طريق من يعظمه لقبه بلا تردّد.

وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا

**يُؤْمِنُونَ**﴾<sup>(١)</sup>، فالفسق - وهو خروج العبد عن طاعة الله إلى طاعة الشيطان، وكون القلب على هذا الوصف الحبيث - أكبر مانع من قبول الحق علماً وعملاً، والله تعالى لا يُزكّي من هذه حاله، بل يكلّهُ إلى نفسه الظالمية، فتجول في الباطل عناداً وضلالاً، وتكون حركته كلها شراً وفساداً؛ فالفسق يقترن بالباطل، ويصده عن الحق، لأن القلب متى خرج عن الانقياد لله والخضوع فلا بد أن ينقاد لكلّ ﴿شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾<sup>(٢)</sup> كُنِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ، مَنْ تَوَلَّاهُ فَاتَّهُ، يُضِلُّهُ، وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾<sup>(٣)</sup>.

\* ومن أكبر موانع اتباع الحق والإيمان: حصر العلوم والحقائق في دائرة ضيقة، كما فعل ملاحة الماديين في حصرهم العلوم [بمدرجات] الحسّ<sup>(٣)</sup>؛ فما أدركوه بحواسهم أثبتوه، وما لم يدركوه بها نفوه ولو ثبت بطرق وبراهين أعظم

(١) سورة يونس، آية رقم: ٣٣.

(٢) سورة الحج، آية رقم: ٣-٤.

(٣) في الأصل: (من مدرجات الحس) والتصحيح ممّا استظهره الشيخ عبد السلام

ابن برجس رحمه الله في نسخته، والشيخ عبد الرزاق في شرحه - حفظه الله -.

وأوضح وأجلى من مُدركات الحِسِّ<sup>(١)</sup>.

وهذه فتنةٌ وشبهةٌ ضلَّ بها خلقٌ كثيرٌ، وهذه الطريقة الخبيثة أنكروا بها وجودَ الربِّ، وكفروا بالرُّسلِ، وبما أخبروهم به من أمورِ الغيبِ التي قامت الأدلَّةُ والبراهينُ المتنوعة على صدقِها، بل قامت الأدلَّةُ المشاهدةُ على حَقِّها.

ومن المعلوم بالضرورة والعلم اليقيني أنَّ البراهينَ على وجودِ الباري ووحْدانيَّته وانفِرادِهِ بالخلق والتدبير لا يمكن أن يساويها أو يقارها شيءٌ من الطُّرق المُثبِتة لأيِّ حقيقة تكون؛ فقد قامت الأدلَّةُ السَّمعيَّةُ والعقليَّةُ والعَيانيَّةُ والفِطريَّةُ على ذلك، وقد أظهرَ من آياته في الآفاق وفي الأنفُسِ ما تبين به الحقُّ، وأنه حقٌّ، ورسلُهُ حقٌّ، وجزاؤُهُ حقٌّ، وجميع أخباره حقٌّ، ودينُهُ حقٌّ، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾<sup>(٢)؟!</sup>

ولكن تمرّد الماديين وكبرهُم حال بينهم وبين الحقِّ النافع الذي لا ينفعُ غيرُهُ بدونه بوجهٍ من الوجوه، والمؤمنُ البصيرُ يعرفُ بنورِ بصيرتِهِ أنهم في ضلالٍ مُبين، وعمى مُتراكم، ونحمدُ الله على نعمةِ الهداية.

(١) وإنَّ أولَ صفةٍ وصفَ الله بها المؤمنين في كتابه: الإيمان بالغيب، فقال ﷻ: ﴿الَّذِينَ

يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]، وهي من أخصِّ خصائص أهل الإيمان.

(٢) سورة يونس، آية رقم: ٣٢.

\* ومن الموانع: تَجَرُّدُ المادِّيِّينَ [ومن] <sup>(١)</sup> تَبَعَهُم من المغرورين، وزَعْمُهُم أَنَّ البَشَرَ لم يبلِّغوا الرشدَ ونضوجَ العقلِ إلا في هذه الأوقات التي طغت فيها المادة وعلومُ الطبيعة، وأنَّهم قبلَ ذلك لم يبلِّغوا الرشدَ، وهذا فيه من الجِراءَةِ والإقدامِ على السَّفْسَطَةِ، والمُكابرةِ للحقائق، والمُبَاهَتهِ، ما لا يخفى على مَنْ له أدنى مَعقول لم تُعَيِّرُهُ الآراءُ الخبيثة.

فلو قالوا: إِنَّ المادَّةَ والصناعةَ والاختراعاتِ وتطويعَ الأمورِ الطبيعيةِ لم تنضج وتتم إلا في الوقت الأخير لصدَّقهم كلُّ واحدٍ.

وأما تعريفُهُم على هذا وتَجَرُّبِهِم وتَعَدِّيهِم إِيَّاهُ إلى العلومِ الصحيحةِ، والحقائق الثابتة، والأخلاق الجميلة فَقَضِيَّةٌ من أكذبِ القضايا، فإنَّ العقولَ والعلومَ الصحيحةَ إنما تُعرفُ ويُستدلُّ على كمالها أو نقصها بآثارها وبأدلتها وغاياتها.

انظر إلى الكمالِ والعُلُوِّ في العقائدِ والأخلاقِ والدينِ والدُّنيا والرحمةِ والحكمة التي جاء بها محمد ﷺ، وأخذها عنه المسلمون، وأوصلتهم وقتَ عملهم بها إلى كلِّ خيرٍ دينيٍّ ودُنْيويٍّ، وكلِّ صلاحٍ، وأخضعت لهم جميعَ الأمم، وأنَّهم وصلوا إلى حالةٍ وكمالٍ يستحيلُ أن يصلَ إليه أحدٌ حتى يسلكَ طريقَهُم.

(١) • في الأصل: (وما)، والمثبت من تصحيح الشيخ عبد السلام بن برجس رحمته الله.

ثُمَّ انظُرْ إِلَى مَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ أَخْلَاقُ الْمَادِيِّينَ الْإِبَاحِيِّينَ الَّذِينَ أَطْلَقُوا السَّرَّاحَ لَشَهَوَاتِهِمْ، وَلَمْ يَقِفُوا عِنْدَ حَدٍّ، حَتَّى هَبَطُوا بِذَلِكَ إِلَى أَسْفَلِ سَافِلِينَ.

وَلَوْلَا الْقُوَّةُ الْمَادِيَّةُ<sup>(١)</sup> تَمَسَّكُهُمْ بَعْضَ التَّمَأْسُكِ لِأَرْدَتِهِمْ هَذِهِ الْإِبَاحِيَّةَ وَالْفَوْضَى فِي الْهَلَاكِ الْعَاجِلِ، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ثُمَّ لَوْلَا بَقَايَا مِنْ آدَابِ الْأَدْيَانِ بَقِيَتْ بَعْضُ آثَارِهَا فِي الشُّعُوبِ الرَّاقِيَةِ - صَلَّحَتْ بِهَا دُنْيَاهُمْ - لَمْ يَكُنْ لِرُقِيَّتِهِمُ الْمَادِيَّيِّ قِيَمَةٌ عَاجِلَةٌ، فَإِنَّ الَّذِينَ فَقَدُوا الدِّينَ عَجَزُوا كُلَّ الْعَجْزِ عَنِ الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ، وَالرَّاحَةِ الْحَاضِرَةِ، وَالسَّعَادَةِ الْعَاجِلَةِ، وَالْمُشَاهَدَةِ أَقْوَى شَاهِدٍ لَذَلِكَ.

وَمُشْرِكُوا الْعَرَبِ وَنَحْوَهُمْ مِمَّنْ عِنْدَهُمْ بَعْضُ الْإِيْمَانِ، وَبَعْضُ الْإِعْتِرَافِ بِالْأُصُولِ الْإِيْمَانِيَّةِ - كَتَوْحِيدِ الرَّبُّوبِيَّةِ وَالْإِعْتِرَافِ بِالْجُزْءِ - خَيْرٌ بِكَثِيرٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَادِيِّينَ بِلَا رِيْبٍ وَلَا شَكٍّ.

ثُمَّ قَدْ عَلِمَ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ الرِّسْلَ - صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ - جَاءُوا بِالْوَحْيِ وَالْهُدَايَةِ جَمَلَةً وَتَفْصِيلاً، وَبِالنُّورِ وَالْعِلْمِ الصَّحِيحِ، وَالصَّلَاحِ الْمَطْلُوقِ

(١) مُرَادُ الْمَصْنُفِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْقُوَى الْمَادِيَّةِ: الْقَوَانِينُ وَالْعُقُوبَاتُ الَّتِي مَنَعْتَهُمْ مِنْ كَثِيرٍ

مِنَ الْأَعْمَالِ خَوْفًا مِنْهَا.

(٢) سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ، آيَةُ رَقْمِ: ٤٢.

من جميع الوجوه، واعترفت العقول الصحيحة بذلك، وعلمت أنها في غاية الافتقار إليه، وخضعت لما جاءت به الرسل، وعلمت العقول أنها لو اجتمعت من أولها إلى آخرها لم تصل إلى درجة الكتب، إلى الحقائق النافعة<sup>(١)</sup> التي جاءت بها الرسل، ونزلت بها الكتب، وأنه لولاها لكانت في ضلال مبين وعمى عظيم، وشقاء وهلاك مستمر ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

فالعقول لم تبلغ الرشد الصحيح، ولم تنضج إلا بما جاءت به الرسل.

\* ومن ذلك انخداع أكثر الناس بالألفاظ التي يُزَوِّق<sup>(٣)</sup> بها الباطل ويُردُّ بها الحق من غير بصيرة ولا علم صحيح؛ وذلك لتسميته علوم الدين وأخلاقه العالية رجعية، وتسميتهم العلوم والأخلاق الأخر المنافية لذلك ثقافة وتجديداً.

ومن المعلوم لكل صاحب عقل صحيح أن كل ثقافة وتجديد لم يستند في

(١) • كذا في الأصل وبقية النسخ المطبوعة، واستظهر الشيخ عبد الرزاق البدر أن يقال: (إلى درجة الحقائق النافعة التي جاءت بها الرسل...)، والله أعلم.

(٢) سورة آل عمران، آية رقم: ١٦٤.

(٣) قال الزبيدي: (قولهم: زَوَّقْتُ الشَّيْءَ: إِذَا زَيَّنْتُهُ). «تاج العروس» (٢٥/٤٢٢).

أصوله إلى هداية الدين، وإلى توجهات الدين؛ فإنه شرٌّ وضررٌ عاجلٌ وأجلٌ<sup>(١)</sup>.

وَمَنْ تَأَمَّلَ أَدْنَى تَأَمَّلٍ مَا عَلَيْهِ مَنْ يُسَمَّونَ: (المُتَقَفِينِ وَالْمَادِيَّينِ) مِنْ هُبُوطِ الْأَخْلَاقِ، وَالْإِقْبَالِ عَلَى كُلِّ ضَارٍّ، وَتَرْكِ كُلِّ نَافِعٍ؛ عَرَفَ أَنَّ الثَّقَافَةَ الصَّحِيحَةَ تَثْقِفُ الْعُقُولَ بِهَدَايَةِ الرُّسُلِ وَعِلْمِهِمُ الصَّحِيحَةَ، وَتَثْقِفُ الْأَخْلَاقَ: تَهْدِيئُهَا بِالْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ الْجَمِيلَةِ وَالتَّوَجِيهَاتِ النَّافِعَةِ الَّتِي

(١) هذه عشرة أمورٍ ذكرها المصنّف مما يصدُّ الناس عن الحقِّ والإيمان، ويمكن أن يُضاف إليها أمرٌ وهو: تلقيبُ أهلِ الباطلِ الحقَّ وحملتهُ بألقابٍ ذميمةٍ مُنْفَرَةٍ، ومن ذلك ما جاء في قِصَّةِ ضِمَادِ الْأَزْدِيِّ رضي الله عنه، التي أخرجها مسلم [في «صحيحه» كتاب الجمعة، رقم: (٨٦٨)] من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: «إِنْ ضِمَادًا قَدِمَ مَكَّةَ وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنْوَاءَ، وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيْحِ، فَسَمِعَ سَفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، يَقُولُونَ: «إِنْ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ، فَقَالَ: لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدِي، قَالَ فَلَقِيهِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيْحِ، وَإِنَّ اللَّهَ يَشْفِي عَلَى يَدِي مِنْ شَاءَ، فَهَلْ لَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مَضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَا بَعْدُ» قَالَ: فَقَالَ: أَعَدَّ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثَلَاثَ مَرَاتٍ، قَالَ: فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهْنَةِ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ، وَقَوْلَ الشُّعْرَاءِ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، وَلَقَدْ بَلَغَنِي نَاعُوسُ الْبَحْرِ، قَالَ: فَقَالَ: هَاتِ يَدَكَ أَبَايَعُكَ عَلَى الْإِسْلَامِ، قَالَ: فَبَايَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَعَلَى قَوْمِكَ»، قَالَ: وَعَلَى قَوْمِي...».

تشمّل على الصّلاح المطلق، والاستعانةُ بعلومِ المادّةِ الصّحيحةِ على الخير والصّلاح والنّجاح.

فالإسلامُ يأمرُ ويحُثُّ على تحصيلِ السّعادتين، وتكميلِ الفضيلتين، ومَن تأمّل ما جاء به الدينُ الإسلاميُّ من الكتابِ والسنةِ جملةً وتفصيلاً؛ عرّف أنه لا صلاح للبشرِ إلا بالرجوعِ إلى هدايته وإرشاده، وأنه كما أصلح العقائد والأخلاق والأعمال؛ فقد أصلح أمورَ الدنيا، وأرشدَ إلى كلّ ما يعودُ إلى الخيرِ والنفعِ العامِّ والخاصِّ.

والله الموفقُ الهادي، وصلى الله على محمدٍ وسلّم.